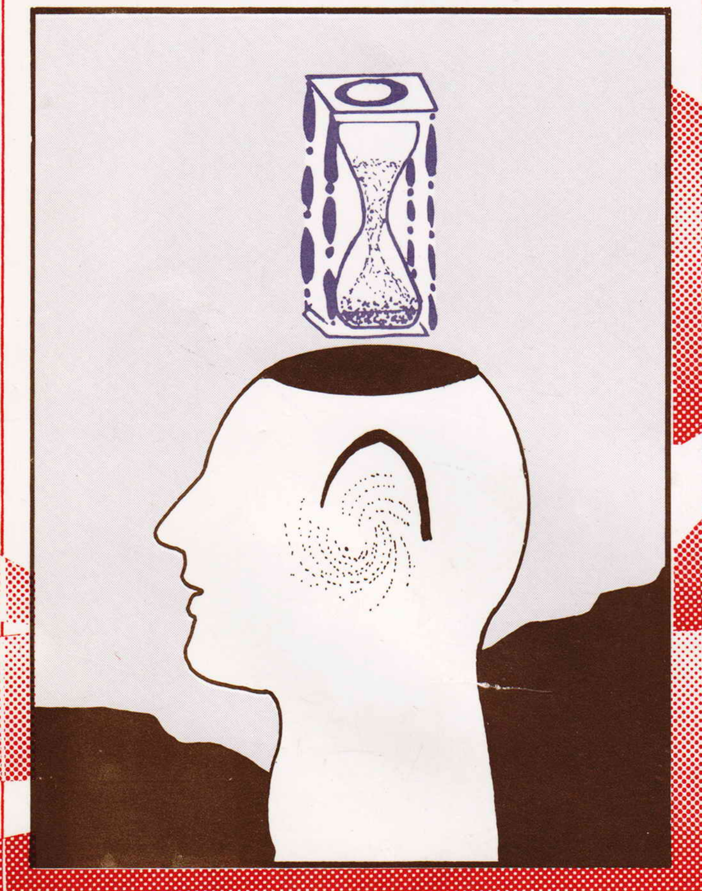
محمد العلوي

وقتك حياتك

دراسة موجزة في فن استغلال الوقت



دار الكلمة الطيبة

وقتك حياتك

محمد العلوي



دراسة موجزة في فن استغلال الوقت

دار الكلمة الطيبة

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

دار الكلمة الطيبة بيروت. لبنان - ص.ب ٦٥٠٤ / ١١٣

مقدمة الناشر

يخطىء من يتصرف في حياته وكأنه خالد مخلد ، ويخطىء أيضاً من يضيع أوقاته ولا يستثمرها ، فالانسان في هذه الحياة ـ شاء أم أبى ـ محاسب على كل دقيقة وثانية من عمره وحياته ، وفي يوم سيُسأل عن ذلك لحظة لحظة ، في أي مجال قضاها ؟ هل قضاها في الخير أم في الشر أم في الفراغ .

ومن هنا نجد أن الله سبحانه وتعالى ، وضع للكون والوجود هدفاً ، والهدفية تقتضي وجود أجلٍ محدد ، وفلسفة الحياة قائمة على أن التوقيت يدخل طرفاً أولياً في كل شيء ، فكلّ شيء محكوم بأجل ومدة وزمن طالما أنه لهدف أو لغاية .

إنّ الحياة مسخرة لهذا الإنسان ، إذ هو الأساس فيها ،

وعليه أن يلاحظ الهدفية في حياته ، وأن يدمج بين الأجل وبين الهدفية ، بين التوقيت والغاية ، لكي ينجح ويسعد في هذه الحياة .

والله سبحانه يؤكد على هذا الأمر في كثير من الآيات القرآنية فيقول جلت قدرته :

﴿ والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم ﴾ (الواقعة/ ١٠) .

ويقول أيضاً :

﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم ﴾ ، (الحديد/ ٢١) .

ويقول سبحانه :

﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم ﴾

وذلك لأن المسابقة والسرعة مطلوبة في الحياة الدنيا ما دامت في الخير ، وما دامت من أجل هدف ، وإلّا سيضيّع الإنسان حياته وسيخسر عمره دون فائدة .

إن الله سبحانه خلق الإنسان من أجل هدف ، وغاية ، . لا من أجل أن يعيش فقط ، والإنسان الناجح هو من يستثمر أوقاته في سبيل ذلك الهدف .

وهذا ما يكشفه الاستاذ محمد العلوي في كتابه القيم .

وإذ نضع الكتاب بين يدي القارىء الكريم ، لنرجو من الله العلي القدير أن يجعله سبيلاً نحو الخير والصلاح .

الناشر

المقدمة

إذا كـان الـتبـر هـو الـذّهـب الأصـفـر ، وكـان البتـرول (النّفط) ذهبّـا أسـوداً ، فـإن الـوقت هـو الـذّهب الشفّاف .

انّ الزّمن الذي نعيشه ، والوقت الذي نحياه ، إنّما هو جـزء من كياننـا الكبير ، وقيمتـه ليس كما يقـول المثـل (من ذهب) فحسب ، وإنما هو أغلى بكثير منه ، اذ لا مقايسة بين قيمة الذّهب وقيمة الوقت ، وذلـك لأنّ الإنسان يستـطيع أن يحصل على ما يريد من الذّهب بهذا الوقت ، لكنّه يستحيل عليه إعادة دقيقة ـ بل ثانية ـ من عمره وحياته ، ولو دفع العالم كله ثمناً لذلك .

فالوقت هو الكنز العظيم الذي لا يقدّر بثمن ، وحريّ بمن يملكه ، أن يحفظه بعيداً عن الضيّاع والتلف والسرقة ،

ان الوقت هو الجوهرة النفسية التي يبحث عنها اللصوص ، ليسرقوها ممّن هم في أمّس الحاجة إليها ، لأنهم على يقين من مقدرة الإنسان على أن يستفيد منها في حياته ، الأمر الذي لا يريده أولئك اللصوص .

ولذا فإنّ محاولات الأعداء جاءت لكي تلغي من عقولنا أهميّة الوقت وجوهريّته ، وهم مطمئنون إلى إننا لو أعطينا للوقت حقّه ، وعرفناه حق المعرفة ، لما وصل بنا الحال إلى هذا العمق من التخلّف . ولقد نجح العدوّ في مخطّطه ، حيث عمل على نسف هذا العامل الخطير والمهمّ في حياة البشرية ألا وهو الوقت ، وعندما نحاول إحصاء كمية الوقت الذي يذهب سدىً في العالم ، نرى أنه يشكل ـ بما مجموعه ـ سنيناً طوالاً من الغفلة والنّوم واللهو .

إن أيّ حضارة إنّما تقوم على مجموعة مبادىء وعناصر ، وهذه المبادىء والعناصر تشكّل عوامل نشوء الحضارات ، وهي كالتالي :

١ ـ الإنسان : وهو العنصر الرئيسي في صناعة الحضارة ، والحاصد الأول لثمرتها ، بل هو المعنيّ في هذه الحياة الدنيا قبل غيره .

٢ ـ المادّة الخام : وهي مجمل الامكانيات المادية المستخدمة في بناء الحضارة ، فالأرض ـ مثلا ـ بما فيها من

عناصر هي احدى هذه المـوادّ ، اذ كيف يمكن للحضارة أن تبنى من دون أرض ؟!

٣ ـ الفكرة الحضاريـة : وهي منهج البنـاء ، ومخطّط الحضارة ، وهي الأفكار والقيم التي يقوم على أساسها الكيان الحضاري ، مثل فكرة وقيمة السعي والعمـل وفكرة التعـاون وقيمة الحرية ، وغيرها من الأفكار والقيم الحضارية .

٤ ـ الـوقت : وهـو بمثـابـة الجـانب المغيّب في هـذا الكون ، ويمكن التعبير عنه بأنّـه روح الكون ، فكمـا الرّوح ضرورية للجسد ، اذ لا يمكن أن يعيش الإنسان بلا روح ، فكـذلك الكـون لا يمكنه أن يتخلى عن الـزمن ، ولا يمكن اطلاق إسم الكون بدون أن تلتصق به فكرة الزّمن ، إذ الزّمن ـ أو الوقت ـ هو السيّاج الذي تبنى الحضـارة بداخله وضمن حدوده .

مهما أوتي البشر من علم ومعرفة ، وقّوة وإمكانية ، فإنّه يبقى عاجزاً عن فصل هذا العامل (الـوقت) عن عملية البنـاء الحضاري ، ولكنّه بإمكانه أن يسابق الزّمن فيختصر الوقت ، ليس أكثر من ذلك .

ومن هنا جاء الاسـلام ليعطي للزّمن قيمتـه الحقيقية ، ووزنـه الفعلّي ، وليعيد لـلإنسان إنسـانيتـه ،رغم محـاولات الأعـداء مسخه وسلبـه إنسانيتـه عبر جعله يعيش الـلامبـالاة

واللاهدفية . لقد جاء الاسلام الحنيف ، ومعه الفكر الحضاري مزموما بالزّمن ، لينشىء الحضارة المجيدة ، وليبيّن أهمية الوقت وقدسيته في حياة الفرد ، والمجتمع ، والأمة والبشرية جمعاء .

وما هذا الكتاب إلا محاولة متواضعة لمعرفة أهمية الوقت وقيمته في حياة الإنسان ، وعلى ضوء ذلك نحاول أن نعرف بعضاً من القواعد والأسس في إستثمار الوقت .

عسى الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لذلك ، وأن ينفعنا به إنّه سميع مجيب وهو ولي التوفيق .

محمد العلوي

١٧ رمضان ١٤١٢هـ

١٩٩٢/٣/٢٢م

الفصل الأول

الوقت هو الحياة

﴿ والعصر إنّ الإنسانَ لفي خسر ، إلاّ الذين أمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ ، (قرآن كريم) .

«ما نقصت ساعةٌ من دهرِك إلاّ بقطعةٍ من عُمرك»
(الإمام علي (ع)



الوقت هو الحياة

كثيرون هم الذين يتأوهون من الزمان ومن تقلباته ، وكثيرون ـ أيضاً ـ هم أولئك الذين لا يعجبهم الزمان ويلقون المسؤولية عليه ويلومونه ويعاتبونه .

ولكن هل الزمان بلحظاته ، وثوانيه ، ودقائقه ، وساعاته ، وأيامه ، وشهوره ، وسنواته ، وقرونه ، هو المسؤول عن حياة الإنسان ومصيره ؟!

بلا شك إن الزمن ليس هو المسؤول ، وإنما المسؤول الأول والأخير هو الإنسان نفسه ولا مسؤول سواه ، وإن الزمن ـ في حقيقة الأمر ـ ما هو إلا مركب ، أو مطية ، أو ظرف ـ كما البيت والمسكن ـ إن اغتنمه الإنسان في الوجوه الصالحة ، أصبح من الناجحين الرابحين ، وإلا فهو من الفاشلين الخاسرين .

فربح الإنسان ونجاحه الحقيقي محصور ومقصور في إستغلاله لعامل الزمن ، في الإيمان والعمل الصالح وإلتزام الحق .

إن الزمن هو ظرف ، فكما أن الإنسان لكي يشرب ماءً ، هو بحاجة إلى ظرف أو وعاء ، كذلك الأمر بالنسبة للزمان ، فهو وعاء زمني ـ مقترن بالظرف المكاني ـ يمارس الإنسان دوره الحياتي فيه ، وبالتالي فهو وسيلة ، كما اللغة وسيلة للتفاهم بين الناس ، وجسر للوصول إلى الحاجات والمقاصد ، وهذا شاهد على أن الإنسان هو المسؤول **﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾** (الزلزلة/٧ ـ ٨) .

يقول أبو جعفر الشيباني :

أتانا يوماً أبو مياس الشاعر ، ونحن في جماعة ، فقال : ما أنتم وما تذكرون ؟

قلنا : نذكر الزّمان وفساده!! (أي يعتبرون الزمان هو الفاسد وهو المسؤول عن الفساد) .

قال : كلا! إنما الزمان وعاء ، وما أُلقي فيه من خير أو شر كان على حاله ، ثم أنشأ يقول :

أرى حللاً تصان على أناسٍ
وأخلاقاً تداس فلا تصانُ

يـقـولـون : الـزمـان بـه فـسـاد
وهـم فـسـدوا ومـا فَـسـد الـزمـانُ

* * *

وما جرم الزمان إذا جعله الناس ظرفاً ووعاءً للفساد ؟!

أليس الناس هم الذين يَفسدون ويُفسِدون ؟

يقول تعالى :

﴿ وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون . واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون . أن تقول نفس يا حسرتىٰ على ما فرّطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين . أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين . أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرةً فأكون من المحسنين . بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ﴾ (الزمر/٥٤ ـ ٥٩) .

وفي هذه الآيات القرآنية الكريمة ، يبيّن الخالق ـ جلّ وعلا ـ حالة التأسف التي يصاب بها الإنسان بعد مضي الوقت وإنقضائه ، ومن هنا فإن الإنابة والرجوع إلى الله ـ عزّ وجل ـ هو الطريق السليم في التعامل مع الزمن .

وإن لم ينب الإنسان إلى الله سيجد أن عذابه يأتيه بغتة

وهو لا يشعر .

إن الزمن يجري بالإنسان ويمضي به ، كما جرى بمن قبله ومضى بهم ، وما يأتيه من الزمان ، كما مضى ، إذ سينتهي وينقضي أيضاً .

ولو وقف المرء مع نفسه وتأمل في ما مضى من عمره ، وفي من مضى قبله ، لرأى نفسه وكأنه في حلم! وإن كان مقصراً سيصاب بالندم .

وحالة الندم على التفريط والتقصير في جنب الله والسخرية من مبادئه ، لا تنفعه حينما يأتيه عذاب الله ، وحينها لا ينفع تمني الهداية ، أو وضع مسئوليتها على الله ، إذا ذهب وقت العمل ، وحان موعد الحساب .

وإنك لتجد الكثير من الناس ممن يلغون إرادتهم في الحياة ، ويتصورون أنهم مجبرون على كل شيء! وحينما تكون عاقبتهم سيئة في الدار الآخرة يلقون بالمسئولية على الله ـ سبحانه ـ مدّعين أن وقوعهم في الضلال وزيغهم عن الهداية ، هو أمر كتبه الله عليهم ، ولا إرادة لهم فيه .

وهذه المقولة يتذرع بها الكسول المترهل الذي يجلس في بيته ويبرر تقاعسه ، وفي اليوم الآخر يتمنى لو تعود الكرة له من جديد لكي يصبح محسناً ، ولكن لا كرّة أن جاءته الآيات وكذّب بها وأمسى من المستكبرين والكافرين ، فلا

رجعة إلى الحياة الدنيا بعد أن مضى وقتها وتصرّم .

وممّا تجدر الإشارة إليه أن الإنسان لا يقرّر في نفسه منذ البداية أن يكون منحرفاً ، إلى أن يصل إلى مرحلة الإنحراف ثم الكفر ، فيبدأ بالتكذيب بالآيات . ثم إنه من الضروري النظر إلى الزمن بعين الجدّ ، وإستثماره لكي لا يؤخذ الإنسان بغتة في الدنيا وفي الأخرة ، ولكي لا يصاب بالحسرة والندم ، حين لا تنفعه لا الحسرة ولا الندم شيئاً .

إهتمام الإسلام بالوقت :

إن المتدبر في أي الذكر الحكيم يلاحظ إهتمام الإسلام بالوقت ، فالله سبحانه وتعالى يُقسم بالوقت ، فيقول في سورة العصر :

﴿ والعصر ، إن الإنسان لفي خسر ، إلا الذين أمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ .

وبديهة أن الله ـ جلّ علا ـ لا يقسم بشيء إلّا لمكانته المهمة وقيمته الهامة ، وأكثر من ذلك أنه عزّ وجل يقسم بأجزاء الوقت وظواهره ، كالفجر ، والصبح ، والضحى ، والنّهار ، والليل ، و . . .

يقول تعالى :

﴿ والفجر ، وليال عشر ﴾ (الفجر/١ ـ ٢) .

﴿ **والضّحى ، والليل إذا سجى** ﴾ (الضحى/١ ـ ٢) .
﴿ **والليل اذا يغشى ، والنّهار اذا تجلّى** ﴾ (الليل/١ ـ ٢) .
﴿ **والليل اذا عسعس ، والصبح إذا تنفس** ﴾ (التكوير/١٧ ـ ١٨) .

وكل تلك الآيات من أجل تبيان قيمة الوقت وأهميته للإنسان ، حتى يستغله ويستثمره ولكي لا يحرقه في التوافه من الأمور والأشياء .

وحينما ينظر الواحد منّا إلى هذا الكون الرّحيب ، وما يحتويه من كواكب ، وبحار ، وحيوانات ، وأنهار ، ونبات ، وجماد ، وغير ذلك من المخلوقات ، يُدرك أنّ كل هذه الموجودات تعيش ضمن النطاق الزّمني ، لا خارجة عنه وعن حدوده ، فلكل ميقات بدء وشروع ، كما أن لكل ميقات نهاية وفناء .

قال تعالى : ﴿ **يولج الليل في النّهار ، ويولج النّهار في الليل ، وسخرّ الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمّى** ﴾ (فاطر/(١٣) .

وهذه الشواهد الكونية تنتهي عند أجل مسمى وزمن محدود ، من قبل خالقها ـ عزّ وجّل ـ وهذه إشارة واضحة إلى ضرورة إستغلال الوقت قبل أن نخسره ، وقبل أن ينسحب

علينا قوله عز وجل :

﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال ربّ ارجعون لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت ، كلّا إنّها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ (المؤمنون/ ٩٩ ـ ١٠٠) ، وحينها لن نستطيع أن نعيد عجلة الزّمن إلى الوراء .

إنّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ خلق كلّ شيء ، وجعل فيه حكمة وعبرة ولكي يشعر الإنسان بالزّمن والوقت جسّده في صورة الليل والنهار .

لماذا ؟

إنها الحكمة الالهية ، فذلك من أجل أن نعرف معنى النقصان والإنقراض .

قال تعالى : **﴿ يقلّب الله الليل والنّهار ، إنّ في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ﴾** (النور/ ٤٤) .

فالعبرة والعظة مطلب ضروري لتقدير الزّمن ، وهو يأتي بالتفكر في ظواهر الكون الزّمنية ، لكي نعرف سرّ تقسيم الزّمان إلى سنين ، وشهور ، وأيام ، و . . . .

قال تعالى : **﴿ هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ﴾** (يونس/ ٥) .

إنّ التجـزيء أو التفصيل الـزّمني يعين الإنسـان على تنظيم برامجه وفقه ، الأمر الذي يمكّن الإنسان من أن يستثمر أوقاته على أفضل وأكمل وجه ، فيحدّد ميعاد نومـه ومدتـه ، بدء عمله ، ووقت راحته ، و . . . . بل إن الإسلام حـدّد بعضاً من هذه الأمور ، اذ أن عدم التحديد يعني العبثيـة في الحياة ، والحياة ، ـ بديهة ـ لم تخلق عبثاً .

يقول تعالى : ﴿ **وجعلنا الليل لبـاساً ، وجعلنـا النهّار معاشاً** ﴾ (النبأ/ ١٠ ـ ١١) .

إم مَن يعرف فلسفة الوجود ، باستطاعته أن يقدّر قيمة الوقت ، وبإمكـانه أن يسعى بقـدر المستطاع في المحـافظة على أوقـاته ، من أجـل أن يخرج من الإمتحـان وقـد أكمله وأنهاه .

فالحياة الدنيا قـاعة إختبـار وإمتحان ، وكمـا الإمتحان الدّراسي لا بدّ أن يحدّد فيه أوقات الإجابة ، فكذلـك الحياة ـ عموماً ـ هي بدورها أيضاً يحوطهـا سياج زمني ، يستـدعي عدم الإفراط والتفريط فيه .

* * *

إنّ هناك أربعة أوقات تمتاز بارتباطها بعوامل نفسية عند الإنسـان ، وقـد فصّلهـا الله ـ سبحـانـه وتعـالى ـ في كتـابـه المجيد ، ودعا الإنسان إلى تسبيحه في تلكم الأوقات .

قال تعالى : ﴿ **فسبحان الله حين تمسون ، وحين تصبحون ، وله الحمد في السمّاوات والأرض وعشياً ، وحين تظهرون** ﴾ (الرّوم/١٧ ـ ١٨) .

وفي آية أخرى يقول عزّ من قائل : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا** ﴾ (الأحزاب/٤١ ـ ٤٢) .

والملاحظ أن الإسلام حدّد بعض الواجبات الشرعية بزمن معيّن ، لا يمكن الخروج عن إطاره تقدّماً أو تأخراً .

فالصّلاة ـ على سبيل المثال ـ لها من الوقت ما يجعلها واجبة الوقوع فيه ، ولو خرجت عن هذا الإطار الزّمني المحدّد لها فإنّها تقع على غير الهيئة المطلوبة .

ولو لم يكن هناك فارق بين الأوقات ، لما خصّص الله ـ جل وعلا ـ أوقاتها ، وكانت خلاف الحكمة ، وحاشا لله ذلك ، وهو الرب الحكيم الذي لا يغيب عنه شيء فقد قال تعالى :

﴿ **إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً** ﴾ (النساء/١٠٣) .

كما ـ أن الصيام كفريضة دينية ـ يؤدّيها المسلم في وقتها ، كلّ عام مرة واحدة ، في شهر محدّد ، ووقت محدّد من اليوم أيضاً فقد قال تعالى :

﴿ **يا أيها الذين أمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الـذين من قبلكم لعلكم تتقـون ، أيـامـاً معـدودات . . .** ﴾ (البقرة/١٨٣ ـ ١٨٤) .

وقـال تعـالى ـ أيضـاً ـ ﴿ **فمن شهـد منكم الشهـر فليصمه** ﴾ البقرة(١٨٥) .

وقال تعالى ـ أيضاً ـ ﴿ **وكلوا واشربوا حتى يتبيّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتمـوا الصيام إلى الليل . . .** ﴾ (البقرة/١٨٧) .

والحج كذلـك جعّله الله ـ سبحانـه وتعالى ـ في وقت معيّن ومحدّد .

قـال تـعـالى : ﴿ **الـحـج أشـهـر مـعـلومـات** ﴾ (البقرة/١٩٧) .

وقسّ على ذلك بقية العبادات ـ كالـزكاة ـ وغيـرها من التكليفات الشرعية .

أغتنام فرص العمر :

إنّ من الضّـروري لـلإنسـان أن يستشعـر ويعي قيمـة الوقت ، ويعرف مـاذا يعني بالنسبـة لحياتـه ؟ وما أثـره سلباً وايجاباً في مسيرته ؟ .

وكيف أنه سيخسر عمره إن أضاع لحظاته ؟ .

وكيف أنه سيخرج من دنياه منتصراً باستثماره للحظاته أيضاً ؟ ، هذه اللحظات التي هي الحياة عينها .

وقد مثّل الشاعر هذه الحقيقة بأسلوب رائع إذ قال :

دقات قلب المرء قائلة له
إن الحياة دقائق وثوان

ولو تأملّنا حياة النّاجحين والعظماء ، لخلصنا إلى أن حياتهم كانت مجموعة فرص إستثمروها فحازوا على النجّاح .

وعلى العكس تمامّا نجد أن حياة الفاشلين ، مجموعة من الفرص الضّائعة .

وهنا تبرز السمّة الحضارية لدى الإنسان المؤمن الرّسالي ، الذي يغتنم فرص حياته لحظة فلحظة في بناء ذاته ، ومجتمعه ، وأمته .

لقد جاء الإسلام بمنهج تكون فيه اللحظة ذات انتاجٍ عظيم ، إذا ما إلتزم الفرد بهذا المنهج .

فمثلا «لا إله إلا الله» جملة لا تستغرق منك سوى لحظات ، لكنك ستحصد ثمارها في الجنة إذا اغتنمتها في دار الدّنيا ، وتعودت على تكرارها ولو في قلبك .

وقد ترك لنا الإسلام من المناهج ما يشغل لحظاتنا

وحياتنا المليئة بالفراغ .

ولنا في حياة الرسول الأعظم (ص) وأهل بيته (ع) خير نموذج يحتذى به ، إن أردنا أن نربح الحياة بطبيعة الحال .

لقد كان الواحد منهم يقوم بما لا يقوم به الكثير من النّاس ، فهم مثال حقيقي لما جاء في دعاء كميل بن زياد الذي علمّه إيّاه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، إذا يقول :

«يا ربّ ، أسألك بحقك وقدسك ، وأعظم صفاتك وأسمائك ، أن تجعل أوقاتي من الليل والنّهار بذكرك معمورة ، وبخدمتك موصولة . . . »

فكانوا ـ عليهم أفضل الصّلاة والسلام ـ لا يجدون في حياتهم فراغاً من عبادة أو خدمة ، والكتب والدّراسات التي تتناول سيرة النبي وأهل بيته (ع) ، تزخر بهذه الشواهد العظيمة .

فهذا مالك ـ إمام المذهب المالكي ـ يقول عن الإمام جعفر الصادق (ع) :

«كان جعفر لا يخلو من احدى ثلاث خصالٍ : إمّا مصّل ، وإمّا صائم ، وإمّا يقرأ القرآن» .

وهذا الإمام زين العابدين (ع) يُسأل :

ما بال أبيك قليل الأولاد ؟

فأجاب :

«أنّـه كـان يصلّي في كـل ليلة ألف ركعـة ، فمتى يحرث ؟» .

وروي أن الإمام الكاظم (ع) حين كان في السجن كان يصلّي نوافل الليـل ويصلها بصـلاة الصّبح ، ثم يعقّب حتى تطلع الشمس ، ويخّر لله ساجداً فلا يرفع رأسه من السجـدة والتحميد حتى يقرب زوال الشمس» .

وكانت حياته (ع) مزدحمـة بأعمـال الخير والفضيلة ، وكان كما قال بعض عيونه :

كنت أسمعه كثيراً يقول في دعائه :

«اللهم إنّـك تعلم إنني كنت أسـألـك أن تفـرغني للعبادة ، اللهم وقد فعلت ، فلك الحمد» ، وكان حينها في السجن ، وهذا مقدار كـافٍ ليكون حجّـة على المؤمنين من اتبـاع آل بيت محمد (ص) ، كي يمـلأوا أوقاتهم بـالأعمال الصالحات ، وليتركوا ما فات ، وليتفكـروا في ساعتهم كمـا قال أمير المؤمنين (ع) :

مـا مـضـى فـات ومـا يـأتـي فـأيـن
قـم واغتـنم الـفـرصـة بـين الـعـدمـين

وهذه حقيقة حياتيه ، يبيّنها لنا الإمام (ع) ، بأن لا حظّ لنا فيما مضى ، ولا ضمان لنا في المستقبل ، ورزقنا رهن الحاضر الذي نعيشه .

يقول (ع) :

«إنّ ماضي يومك منتقل ، وباقيه متّهم ، فاغتنم وقتك بالعمل» ، (غرر الحكم) .

إنّ هناك ثمة عادات سيئة قد يعتادها الإنسان ، فتكون سبباً في خسارته ، دنيّا وآخرة ، ومن هذه العادات والصّفات السيئة : التسوّيف ، والخمول والكسل ، والتبرير .

وتمرّ علينا في حياتنا اليومية شواهد وأمثلة كثيرة من هذا النّوع من التصرّفات الخاطئة فعندما تطلب من أحدهم القيام بعمل ما يجيبك قائلا : «ليس هذا وقته» والحقيقة ما هذا إلّا تبرير قاتل ، إذ أن أفضل أوقات العمل هو اللحظة التي يُبدأ بها العمل ، و«خير البر عاجله» كما تقول الحكمة الشهيرة .

ومما يؤسف له بحقّ أنّ كثيراً من النّاس ليستهين بعمره ، لاستهانته بوقته ، فيجهل ، أو يتجاهل أن أنفاسه ثمن الجنة كما يقول الشاعر الشيخ حسن الدّمستاني (رض) :

أنفاس عمرك أثمان الجنان فلا
تشري بها لهباً في الحشر يشتعلُ

يـا منفـق العـمـر في عـصيـان خـالـقـه
أفـق فـإنـك مـن خـمـر الـهـوى ثـمـلُ

وهـذا تشبيه رائـع للوقت ، فهو كـالعملة النّقديـة التي تشتري بها ما تشاء ، إذ بإمكانك أن تشتري بها السّم ، أو أن تشتري بها الدّواء ، والعاقل هو من يشتري بها الـدّواء ، ولو كلّفه ذلك كل ما يملك ، ولا يدفع حتى فلساً واحداً من أجل السمّ بلا ترديد .

إنمـا أنت عدد أيـام :

إنّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ يعدّ علينا أنفاسنا ، ويحاسبنا عليها والنّفَس تعبير دقيق عن اللحظة ، وسواء طـال العمر أو قصر ، فإن له نهاية وأجلاً مكتوباً عند الله سبحانـه وتعالى ، وعلى الإنسان أن يزرع في هذه الحياة لكي يجني في الآخرة ثمرة زرعه .

يقول تعالى : ﴿ **وما يعمر من معمّـر ، ولا ينقص من عمره إلّا في كتابٍ إنّ ذلك على الله يسير** ﴾ (فاطر/١١) .

إنّ «الـدنيـا مـزرعـة الأخـرة» كمـا جـاء في الحـديث الشريف .

لذلك ينبغي للمؤمن أن يسعى بكل ما يملك من طاقة نحو تسخير هذه المزرعة من أجل ثمار أينع وظلّ أوفر ، قبل أن يغمض عينيه ويفتحها ويرى نفسه وقد سلبت قوتها وشبابها

وصحتها وغناها وحياتها كلها ، وهـذه هي الفرص الأهم في هذه الحياة ، كما أوصى رسول الله (ص) ، أبـا ذر بها حيث قال :

«يا أبا ذر ، اغتنم خمساً قبل خمس :

١ ـ شبابك قبل هرمك .

٢ ـ وصحّتك قبل سقمك .

٣ ـ وفراغك قبل شغلك .

٤ ـ وحياتك قبل موتك .

إنّ الزّمن يقرض حياتنا ، فهو كالمنشار الذي يعمل في الشجرة حتى يجعلها تهوي أرضاً .

قال الإمام علي (ع) :

«ما نقصت ساعة من دهرك إلاّ بقطعة من عمرك» (غرر الحكم) .

وفي حديث آخر يقول (ع) :

«إنما أنت عدد أيّـام ، فكلّ يـوم يمضي عليك يمضي ببعضك» (غرر الحكم) .

إنّ معدل حياة الإنسـان في عصرنـا هو مـا بين الستين والسبعين عاماً ، ولكنّها ما تلبث أن تنقضي ، ولتجرّب يومـاً أن تسأل شيخاً مسنـاً عن شعوره تجـاه أيّام عمـره السالفـة ،

وستجده يجيبك : لقد مضت كلمحة البصر .

* * *

عندما جاء ملك الموت إلى نبي الله نوح (ع) ، سلّم عليه ، فردّ نوح السلام عليه ، وقال له :

ـ ما حاجتك يا ملك الموت ؟

ـ جئت لأقبض روحك .

ـ دعني أنتقل إلى الظل .

ـ تفضّل .

فانتقل نوح (ع) إلى الظل ، ثم قال لملك الموت : «يا ملك الموت ، كان ما مرّ بي من الدنيا مثل تحوّلي من الشمس إلى الظّل ، فامض لما أمرت به» .

وقد كان عمره (ع) ـ آنذاك ـ ألفي سنة وأربعمائة وخمسين! فكيف بنا نحن ، مع أنّ الثابت تاريخيّا أنّ عمر الإنسان اليوم أقصر بكثير من عمر السابقين .

لا تغفل عن حياتك :

يقول الإمام الصادق (ع) :

«إذا بلغت ستين سنة ، فاحسب نفسك في الموتى» بحار الأنوار(ج٧٣ ، ص٣٩٠) .

بيد أننّا نجد الكثير من الناس يتمادى في غيّه وغفلته ، فلا يحسب للوقت حساباً في حياته ، فالأكل ، والنّوم ،

والأحاديث الباطلة ، تأخذ جلّ وقته ، وقلّما تجده يقرأ كتاباً ، أو يتصفّح صحيفة ، أو يقوم بعمل خيّر ، وبعبارة أخرى : يصرف من وقته على اللعب أكثر مما يصرف على الجدّ ، وعندما تذكره وتعظه ، يجيبك قائلا : لديّ وقت طويل .

إنّ الجهل سبب من أسباب الغفلة عن إغتنام الوقت وإستغلاله ، فيحسب المضيّع لوقته أنّ المال أغلى وأولى بالإهتمام ، بينما يقول رسول الله (ص) :

«كن على عمرك أشح منك على درهمك ودينارك» ، بحار الأنوار(ج٧٧ ، ص٧٦) .

إنّك تبخل بدينارك على دينك ، وتبيح أوقاتك للعدم ، أفلا تفكّر في الإعداد لأخرتك ؟

فماذا سينقذك غداً إن لم تسخّر دقائق ولحظات حياتك من أجل آخرتك ؟!

وهل يحسب الإنسان أن الوقت سينتظره ؟

إن الوقت لا ينتظر الإنسان بل سيخطفه خطفة لا يشعر بها ليجد نفسه أمام الميزان في يوم الحساب .

لقد قال الإمام علي (عليه السلام) :

«ما أسرع الساعات في اليوم ، وأسرع الأيام في الشهر ، وأسرع الشهور في السنّة ، وأسرع السنين في

العمر!» نهج البلاغة (ح١٨٨) .

وكما يقول الشاعر :

تـمـضـي الـدهـور كـمـا الـشـهـور
كـانـنّـا فـي غـفـلة لا تـنـتـهـي

بادروا للعمل :

وبناءً على ذلك فإنّ علينا أن نعمل في الزّمن ، ونعصره عصراً ، فلا نبقي منه ثانية تمرّ دون أن نستفيد منها .

والإمام علي (عليه السلام) يؤكد هذه الحقيقة فيقول :

«إنّ الليل والنّهار يعملان فيك ، فاعمل فيهما ، ويأخذان منك فخذ منهما» (غرر الحكم) .

قف مع نفسك ، وخطط لحياتك ، و(برّمج) أوقاتك كي لا تضيع عليك لحظات عمرك سدى ، فمن يروم التقدم والنجاح ، ومن ينشد إقامة صرح الحضارة ، ومن يطلب الفوز في الدنيا والآخرة ، فليحرص على وقته أشدّ الحرص .

فقد قال الإمام علي (ع) :

«بادروا للعمل ، وخافوا بغتة الأجل ، فانه لا يُرجى من رجعة العمر ما يرجى من رجعة الرزق» ، (نهج البلاغة/ح١١٤) .

فملك الموت لا يحتاج إلى إجازة أو إستشارة حين

قبض الأرواح ، لـذا من الضروري ان نكـون على إستعـداد دائم لتلك الساعة .

إننـا إذا فقدنـا رزقاً ، لا نلبث حتى نجـده قـد عـاد ، ولكننـا لا نستـطيـع أن نعيـد أنفـاسنـا وأعمـارنـا إذا مضت وتصرّمت .

فهذا الإمام علي (ع) يقول :

«رحم الله امـرءاً علم أن نفسـه خـطاه إلى أجله فبـادر عمله وقصر أمله» (غرر الحكم) .

إنّ جميع القفزات الحضارية التي حققها الإنسان على مرّ العصور ، إنّما أحرزها بإستغلاله لعامل الزّمن ، وبالتفـاته إلى أهميـة إغتنام الفـرص ، فالاكتشـافات والإختـراعات لم تكن لولا الخلوة الهادفة ، ولحظات التفكير المركز .

فلولا إستثمار الوقت وإنتهاز الفرص ، هـل تتصور أن (أرخميدس) توصّل إلى إكتشاف قاعدة تساوي الماء المـزاح مع حجم الجسم الطّافي ، وهو يستحم ، حتى أنّه خرج من الحمـام يصرخ وجـدتها ، وجـدتها ، وهـذا يعـرف بقـانـون الطفّو .

و(نيوتن) لم يكن ليكتشف الجاذبيـة وقانـونها لـولا أنّه إغتنم فرصة راحته في التفكير .

فحينما سقطت التفاحة من الشجرة التي كان يستند إلى ساقها ، سأل نفسه : يا ترى لماذا سقطت التفاحة إلى الأسفل ؟ لماذا لم ترتفع إلى الفضاء ؟

وبذلك توصّل إلى قانون الجاذبيّة وغيرهم من عظماء التاريخ ، ما أصبحوا عظماء إلا بسبب إستغلالهم للوقت وإغتنامهم للفرص .

فلقد كان البعض منهم يستفيد من وقته الضّائع وهو في طريقه إلى المنزل أو العمل ، في التفكير أو القراءة أو غير ذلك .

فالعلامة الشيخ محمد باقر المجلسي (رض) كتب قسماً كبيراً من موسوعته المعروفة باسم (بحار الأنوار) وهو على ظهر البعير أثناء سفره وتنقله .

كما أن البعض منهم قام بإنجازات عظيمة في ظروف صعبة ، كالشهيد الأول «محمد جمال الدين مكي العاملي) الذي ألف رسالة «اللمعة الدمشقية» الفقهية وهو في السجن في سبعة أيام .

إنّ أحد العمّال الإنكليز ظل ثلاث عشرة سنة ، وهو يواصل العمل بضع ساعات في كلّ يوم في مصنع للغزل ، وكان يضع إلى جوار مغزله كتاباً يختلس النظر إلى صفحاته من لحظة لأخرى وهو يدير المغزل فتلتقط عيناه جملة من هنا

وأخرى من هناك ، وبعد إنتهاء ساعات العمل ، كان يذهب إلى مدرسة مسائية يقضي فيها نحو ساعتين ، فإذا ما عاد إلى البيت وإستراح قليلاً ، إستأنف القراءة والمطالعة حتى تخطف أمّه المصباح الذي يقرأ عليه ، وحينئذٍ يأوي إلى فراشه مضطرا ، وقد ظلّ كذلك منذ كان في العاشرة من عمره حتى بلغ الثالثة والعشرين ، فلم تمضِ بعد ذلك سنتان حتى كان قد تمكّن من اللغة الإنكليزية ، ونال شهادة في الجيولوجيا ، وأخرى في الطبّ ، ثم أصبح من مشاهير العلماء وهو «دافيد لفينغستون» العالم الطبيب الرّحالة الذي إكتشف منابع نهر النيّل .

* * *

إن ما ذكرناه يتخلص في ضرورة المحافظة على حياتك وعمرك بعيداً عن التلف والضياع وذلك بالمحافظة على وقتك وإستثماره في البناء والعطاء والعمل الصالح .

«فالوقت هو الحياة»

أليس كذلك ؟

الفصل الثاني

أسباب تبديد الوقت

﴿ وإذامروّا باللغو مروّا كراماً ﴾ ، (قرآن كريم) .

«إن الله يبغض الصحيح الفارغ ، لا في شغل الدنيا ولا في شغل الآخرة»

(الرسول الأكرم (ص))



أسباب تبديد الوقت وتضييعه

﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾ ، (البقرة/١٤٨) .
﴿ ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين ﴾ ، (آل عمران/ ١١٤) .
﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة . . . ﴾ ، (آل عمران/ ١٣٣) .
﴿ أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ﴾ ، (المؤمنون/ ٦١) .
﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة . . . ﴾ ، (الحديد/ ٢١) .

أليست هذه الآيات القرآنية دعوة صريحة وواضحة للمسارعة والتسابق في العمل الصالح ؟

بلى ، إنها دعوة إلى تفجير الطاقات وإلى إكتشاف

الفرص الجديدة والمجالات المتنوعة للعمل الصالح وإستثمارها في صناعة المستقبل .

إن طاقات الإنسان هائلة ، ومجالات العمل والبناء والعطاء واسعة ومتنوعة ، والفرص والوسائل كذلك متوفرة ، فما الذي يعيق الإنسان ويوقف مسيرته نحو التقدم والتطور وصناعة المستقبل الحضاري المنشود ؟

إن أحد المعوقات الرئيسية في طريق البناء الحضاري دنيوياً وطريق السعادة أخروياً هو عدم المسارعة والتسابق في الخيرات .

فلا بد لمن يريد النجاح في الوصول إلى أهدافه أن يكون من أولئك الذين يسارعون في الخيرات ، ويبادرون منتهزين الفرص قبل أن تضيع ، ويتنافسون التنافس البنّاء في الإنجازات والأعمال الصالحة .

إن من يفعل ذلك سيكتشف ـ حينئذٍ ـ كم هي عظيمة وهائلة تلك الطاقة الكامنة في المسارعة والتسابق والتنافس ، ولذلك فالإنسان الناجح هو من يتحدى العقبات التي تمنعه من أن يسارع في الخيرات أو أن يبادر الى الصالحات .

فأمام كلّ خطوة يخطوها الإنسان في حياته ، تكاد تكون هناك عقبة تعيق نجاحه وتقدّمه ، فالحياة صراع بين طبيعتين : الطبيعة الأرضية ، والطبيعة السماوية ، فطبيعة

الأرض هي التي تشدّه إلى الأرض ، فتحجزه عن إلتزام الحق ، وطبيعة السماء (الطبيعة الروحية) هي التي تسمو به إلى حيث وضعه الله من الكرامة .

وهذا الصرّاع بين الحق والباطل ، والتحدّي بين النوّر والظلمة ، والتنافر بين الإيمان والكفر ، والحرب الشعواء بين الجبهتين تتجاذب النفس البشرية ، نحو الحق تارة وتثبيت القيم والمبادىء ، وتارة أخرى نحو العيش في ظلمات المادة وأهواء النفّس .

وبنظرة فاحصة نجد أن البعض يتعثّر في بعض مزالق الحياة ومصاعبها ، ولكنه يتجاوز هذه العقبات الدنيويّة ، فتراه كمن يجري في طريق وعر ، يتعثّر تارة ، ويقوم أخرى .

ومع ذلك على الإنسان المسارعة في الخيرات مهما كانت العقبات أو الصعاب أو المشاكل .

ونجاح الإنسان في هذه الحياة بحاجة إلى إرادة قوية ، وعزم راسخ ، يتجاوز بهما العقبات الكأداء التي تحول بينه وبين ربح الحياة ، فيحطّم بها هواجس اليأس ، ويتغلب على آفات العمل ، التي هي في حقيقتها آفات للوقت ، ومعوقات لعملية المسارعة والتنافس والتسابق والمبادرة إلى العمل والبناء والعطاء .

وهناك الكثير من الآفات التي تلقف وقت الإنسان

وتلتقمه ، وهي تشكّل معاول تقدم حياته ، وعليه أن يخوض معركة جادّة لمكافحة هذه الآفات ، وقهرها ، والتغلّب عليها ، وكما أن لكل شيء آفة ، إذ أن للعلم ، والعمل ، والإحسان ، والغنى ، و . . آفات ، كذلك فإنّ للوقت آفاته ، منها خمس هي على التفصيل الآتي :

أولاً : الفراغ

الفراغ آفة مدمرة ، ومرض قاتل ، وهنا من المهمّ أن نتساءل :

ترى ، كم من العمر يذهب فراغنا ؟

لو حاسب كل منّا نفسه ، وأحصى أوقاته ، ورسم جدولاً يقسّمها فيه ، لوجد أن نسبة الفراغ في حياته ، كبيرة جداً ، ولا عجب في ذلك ، باعتبار أن الإنسان يميل إلى التحرر والإنطلاق ، أو إلى الفرار من الإلتزام ، إذ الإلتزام يكلّفه ، لذلك لا لوم على من يموت حسرة على واقعنا المرّ ، وعلى أسلوبنا السّاذج في التعامل مع أوقاتنا .

وهذه الطّريقة لا تمتّ إلى المنهج الإسلامي ـ بصلة ـ في التعامل مع الوقت ، لأننّا ـ كمسلمين ـ لا نطبّق الأساليب والتعاليم الإسلامية ـ ويا للأسف ـ وقصارى ما نفعله ، أن نتحدث عن هذه التعاليم !

وإذ نتناول هنا خطأ الأسلوب في التعامل مع الوقت ،

فإنّما نشير إلى خطأنا في تطبيق المنهج الإلهي ، من دون أدنى ريب في سلامة تعاليم الإسلام الحنيف في هذا الجانب الحياتي المهمّ .

وبإلقاء نظرة عابرة على مجتمعاتنا ـ حول الوقت وإمضائه ـ نجد ما يلي : ثمان ساعات للنوم ، وثلاث ساعات للأكل ، وأربع لمشاهدة برامج التلفاز ، وواحدة للنزهة والتجوال ، وإثنتان للأحاديث والمجادلات ، وبذلك يبقى من الوقت ست ساعات للعمل ، ويا ليت أنّ معدل عمل الفرد ستّ ساعات يومياً! .

إنّ بعض الإحصائيات تشير إلى أن في بعض الدول ، معدل إنتاج الفرد ـ يوميّاً ـ ساعة واحدة فقط! وصاحبة الشأن العظيم تلك الدّولة التي يكون معدّل انتاج الفرد فيها أربع ساعات يوميّاً! وهذا بالنسبة لعالمنا الذي يطلق عليه (العالم الثالث) ، أمّا بالنسبة للدّول الغربية والاوربية فالحديث عن الوقت يأخذ منحى آخر .

إنّ الحديث عن البطالة في عالمنا الإسلامي يلهب القلب ، فبالاضافة إلى نقص فرص العمل ، هناك الكسل والرّكون إلى ضيق الأفق ، فالشّاب يفضل الفراغ على العمل إذا كان الأخير يكلّفه جهداً ، وكأنّ الجهد يُبذل للفراغ والنوم ، لا للرّزق والعمل والتحرّك .

وهذه الحالة من الفراغ هي في ذاتها مرض خبيث ،

ينخر في المجتمّعات فيهدّها هدّاً ، إذ أنّ للفراغ نتائج غير حميدة ، حتى وإن لم يستعمل لممارسة الشرّ والباطل ، فمن الطبيعي أن الإنسان في الحياة لا يمكنه أن يقف حياديّاً بين الخير والشرّ ، وبين الحق والباطل ، فإذا لم يكن خيرّاً فهو شرير ، وإذا لم يكن مع الحق فهو مع الباطل ، ولا وجود لمنطقة وسطى .

ومن هنا ففراغ الإنسان إمّا أن يكون لصالح الخير وهذا لا يتأتّى إلّا بتطبيق التعاليم الإسلامية ، والنصوص الدينية من آيات وأحاديث شريفة ، التي تدعوا إلى ملىء الفراغ وإستغلاله في العمل الصالح .

وإمّا أن يكون لجانب الشرّ ، والشيطان يترصّد هذه اللحظات ، فيشغلها بإغواء البشر ، وما نراه في عصرنا الحاضر من انتشار الفساد ، وشيوع المخدّرات وارتفاع معدّل وقوع الجريمة ، إنّما هو ـ في جزء كبير منه ـ بسبب الفراغ ، سواء كان الفراغ مادّياً أو معنويّاً .

إن مسعاً مكثفاً لا بد أن يُبذل لحل المشكلة الحقيقية ألا وهي مشكلة الفراغ ، ومن العقل القول : أن أكثر الناس انشغالاً هم أوفرهم وقتاً ؟

لماذا ؟

لأن الإنشغال بالعمل الهادف دليل الهدفيّة ، ومن

ضروراتها : التخطيط ، ومادام الإنسان يخطط لحياته ، فهو يعتصر الوقت الإضافي فيشغله في الصّلاح أيضاً .

ألا نـلاحظ أنّ الشخصيـات العـاملة ، ورجـالات المجتمـع النشـطة ، على الـرغم من إنشغـالهم ، إلاّ أنهم يجدون الوقت الكافي لنزهة قصيرة ، وللحـديث مع العـائلة ولممـارسة الـرياضـة البدنيـة ، وبإمكـان المرء أن يجـد وقتا للجلوس معهم والتحدّث إليهم ؟ وكل ذلك راجع إلى تنظيم الوقت .

وفي الطرّف المقابل قد تسأل البعض : لماذا لا تحضر الندّوة التي ستقام في الموقع الكذائي أو المؤسسة الكذائية ؟

فيجيبك : وهل تظنني فارغاً إلى هذه الدّرجة ؟! .

ثم بعـد ذلك تجـده قابعـاً في منـزلـه يقضي وقتـه في النوم ، أو متسكعاً في الطرقات دون شغل أو عمل .

لقـد تنـاول أهـل البيت (عليهم السـلام) هـذه الآفـة الخطيرة (الفـراغ) بالتّبيين والتشخيص والعـلاج في كثير من المواقع والمواقف ، وعبر شتى الأساليب للتنبيه إلى ضـرورة مواجهة خطرها المميت .

فقـد ورد في حديث عن الـرسـول الأعـظم (ص) أنـه قال :

«خصلتان كثير من النّاس فيها مفتون : الصّحة والفـراغ»

(فروع الكافي/ج٢ ، ص١٥٢) .

وقال (ص) أيضاً : «إنّ الله يبغض الصّحيح الفارغ ، لا في شغل الدنيا ولا في شغل الآخرة» (شرح نهج البلاغة/ج١٧ ، ص١٤٦) .

ويقول الإمام علي (ع) مؤكّداً أنّ الفراغ أقرب إلى الضرّ منه إلى النفع .

«إعلم أن الدنيا دار بليّة ، لم يفرغ صاحبها فيها قطّ ساعة ، إلاّ كانت فرغته عليه حسرة يوم القيامة» (شرح نهج البلاغة /ج١٧ ، ص١٤٥) .

ويضيف عليه السلام قائلاً :

«إن يكن الشغل مجهدة ، فإتصال الفراغ مفسدة» بحار الأنوار (ج٧٧ ، ص٤١٩) .

إنّ تبعات الفراغ خطيرة بمستوى خطورة الفراغ ذاته ، إذ من الفراغ تحدث الغفلة ، فالكسل ، فالتقصير ، فضياع العمر ، فالإنحراف شيئاً فشيئا ، وفي دعاءٍ للإمام علي بن الحسين السجاد (ع) يعلّمنا فيه ضرورة سدّ الفراغ بالصّالح من الأعمال ، بقوله :

«اللهمّ صلّ على محمد وآله ، واشغل قلوبنا بذكرك عن كلّ ذكر ، وألسنتنا بشكرك عن كلّ شكر ، وجوارحنا بطاعتك عن كلّ طاعة ، فإن قدّرت لنا فراغاً ، فاجعله فراغ

سلامة لا تدركنا فيه تبعة ، ولا تلحقنا فيه سأمة» .

إنّها لخسارة عظمى أن تهرب منّا الساعات والأيام بعد أن نهرب منها غافلين ، فيصدق علينا قول الشاعر :

ونـحـن فـي الـدّنـيـا كـراكـب لـجّـة
نـظلّ قعـوداً والـزّمـان بنـا يـجـري
ألـيس مـن الـخسـران أنّ لـيـالـيـاً
تمـرّ بـلا نفـعٍ وتُحسـب من الـعمـر

لذا كان من الضروري فهم الفراغ كمشكلة ، لا بدّ أن توضع على مائدة البحث والتشريح للتخلص منها ومن تبعاتها .

ثانياً اللغو

قال تعالى في وصف عباده المؤمنين :

﴿ **وإذا مرّوا باللغو مرّوا كِراما** ﴾ (الفرقان/٧٢) .

كان أحد السذّج الذين لا يعرفون قيمة الوقت ، فضلاً عن أخلاق الإنسان ومقوماتها الحقيقية ، كان يقول :

من قال أن الثرثرة احدى نقاط الضّعف في شخصية الفرد ؟ .

إنها من نقاط قوّتها ، إذ هي المقدرة على الكلام في جميع الجوانب ، وهي القدرة على الخروج من غيبة الأخرين

إلى السبّ فيهم ، أليست هذه قوة الشخصية ؟! .

إنّ مثل هذا الشخص الساذج يعتبر اللّغو والثرثرة والأحاديث السخيفة ، ملكة شخصية من الصعب على الكثيرين الوصول إليها! بينما في حقيقة الأمر أن الكثير من الأمور التي تجلب إهتمام الناس إليها ، وتشغلهم بتعاطيها ، وتشد تفكيرهم ، وتستحوذ على أنفسهم ، عادة ما تكون من الطبّائع التي ترتاح إليها الرّغبات والاهواء النفسية ، التي لا تكلف الإنسان عناءاً ، فهي جميلة الشكل والمظهر ، ولكنها قبيحة الباطن والجوهر .

واللغو ـ ومنه الثرثرة وفضول الكلام ـ أحد تلك الأمور المغرية ، فهو كالعسل المسموم ، يشربه الثرثار متلذذاً بحلاوته ، ثم أن السمّ يأخذ مجراه رويداً رويداً فيقضي على حياته . جاء في الحديث الشريف :

«وهل يكبّ الناس في النّار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم» .

إن هذا اللسان القصير في حجمه ، الذي لا يتعدّى كونه قطعة من اللحم ، يكون سبباً في دخول النّاس إلى النار ، وهو (اللسان) قد يرفع وضيعاً وقد يضع رفيعاً ، فقد تجد شخصا ما يتهم بريئا ، ويبرّىء متهماً دون أدنى شك ، وقد تجد آخراً يتحدّث عن السيّارات وأجهزة التلفزة ،

والأحذية ، وما إلى ذلك ، وكأنها مشاكل العصر التي كانت تنتظره ليفكّ عقدها بثرثرته ، ويحسب أن ذلك واجب إلهي يقوم بأدائه ، وينسى أن يعالج مشكلة التربية ، ومشكلة البطالة ، ومرض التبعية الثقافية والسياسية ، بل ويتناساها .

ومن اللغو تنتج المشكلات ، ومن أبرزها إستهلاك وقتل الوقت الثمين دون فائدة ترجى ، ومن أجل المحافظة على الوقت لا بدّ من تجنّب مجالس اللغو ، ومجالس البطالة والبطّالين .

يقول الله ـ عز وجل ـ في شأن العقلاء المؤمنين :

﴿ وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه ، وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ﴾ ، (القصص / ٥٥) .

ومن هذه الآية المجيدة يتوضّح أنّ الجهل والأميّة وإنعدام الثقافة الصّالحة ، أسباب ينشأ عنها اللغو الذي هو مدعاة إلى الفراغ والبطالة ، أمّا العاقل الهادف في حياته فإنه إذا حدث مصادفة أن مرّ على اللغو ، فإنه يمر عليه مرّ الكرام الذين لا ينشغلون به وينأون بأنفسهم عنه ، رافعاً نصب عينيه هذا الحديث الشريف : «من اشتغل بما لا يعنيه ، فاته ما يعنيه» .

* * *

ومن القصص التي هي مصداق للحديث المتقدّم ،

يذكر أن رجلاً كان على موعد لحضور صلاة الجماعة ، وبعده على موعد مع تاجر من التجّار ، وفي طريقه إلى المسجد مرّ بأحد أصدقائه بغية اصطحابه معه ، فصادف أن كان صديقه جالساً مع أقربائه ، وهم يتحدّثون ويستعرضون الذكريات القديمة ، ويتبادلون الفكاهات ويضحكون ، فجلس الرجل معهم ، وكما يقال (الحديث يجرّ الحديث) ، حتى إذا أخذه الوقت تذكرّ موعده ، ولكن بعد أن فاتته الصفقة مع التّاجر ، فضلاً عن الصفقة الإلهية المتمثلة في حضور صلاة الجماعة .

* * *

وبناءاً عليه ، لا بدّ للمرء من تقنين المقدرة على التحدّث والكلام ، ليتجنّب الوقوع في مزالق اللغو ، ولصيانة الوقت من الفراغ ، مع العلم أنّ الإسلام لا يعارض المفاكهة والمطايبة والمداعبة ، ولا المزاح بالكلام بالحد المعقول ، ولا يعارض الحديث عن الماضي وإستعراض الذّكريات ، ولكنّه يعارض كلّ ما من شأنه إبعاد الإنسان عن الهدفية في حياته .

يقول الإمام علي (ع) : «كلّ قول ليس لله فيه ذكر فلغو» ، بحار الأنوار (ج٧٨ ، ص٩٢) .

ولا يقصد من كلام الإمام (ع) أن يتجنّب المرء الحديث عن الدنيا وأموره الشخصية ، وإنّما يقصد أن كلام

الإنسان يجب أن يكون في إطار مرضاة الله وذكره ، وبعبارة أخرى : أن يكون هادفاً ، الأمر الذي يعود بالنفع والفائدة عليه وعلى المجتمع .

إنّ من واجب الإنسان الإبتعاد عن كل كلام وحديث لا يكون فيه ذكر لله ، حتى ولو طابق هذا الكلام والحديث نفسه وهواه .

وللإمام الصادق (ع) حديث قيّم يوضّح فيه أحد جوانب اللغو ، فيقول : «لاتقطعّن النهار بكذا وكذا فإن معك من يحفظ عليك» .

وعبارة «كذا وكذا» هي إشارة إلى فضول الكلام ، الذي لا يعود على الإنسان إلّا بالخسارة : خسارة الوقت ، وخسارة الحياة .

ثالثاً : اللهو

قال تعالى : ﴿ **ومن النّاس من يشتري لهو الحديث ليضلّ عن سبيل الله بغير علم** ﴾ (لقمان/٦) .

***

جاء بعض أصحاب الإمام الرضا (ع) إلى إبنه الإمام الجواد (ع) ، وكان صغير السنّ ، وحمل أحد الأصحاب شيئاً ممّا يلعب به الأطفال ، فيقول : لمّا جئته ووقفت أمامه مسلمّاً لم يأذن لي بالجلوس ، فرميت بما كان معي بين يديه ،

فغضب عليّ وقال : ما لهذا خُلقنا .

إنّ (النتيجة من جنس العمل) ، وعليه فمن المستحيل أن ينجح امرؤ في حياته باللهو ، إذ النجاح نتيجة من جنس الجدّ والإجتهاد ، أليس كذلك ؟ وهل سمعت أنّ امرءاً نجح في حياته باتخاذه اللهو سبيلاً ؟!

وحيث أن النجّاح نتيجة الجدّ والإجتهاد والمثابرة ، فإنّ الفشل نتيجة اللهو بلا ترديد ، اذ لاتناقض بين اللهو والفشل ، والفشل في ذات نفسه يكون سبباً في إلتهاء الإنسان .

واللهو إحدى آفات الوقت المدمّرة ، لذا تجد دور اللهو مليئة بالفارغين الذين يجدون في لعبة الشطرنج وغيرها من ألعاب وأسباب اللهو تسليةً يستغنون بها عن التفكير الجادّ في فراغهم فيما يرضي الله تعالى ، ويعود عليهم بالنفع والفائدة .

وفي الآية المتقدّمة الذكر إشارة إلى حقيقة هامّة ، وهي : أنّ الإنسان الذي يشتغل باللهو ، يفقد الوعي ، وينسى الحقائق ، اذ يضمحل نور قلبه ، ويفقد بصائر العقل ، الأمر الذي يجعله على شفا حفرة من الضلال والإنحراف .

وينبّه الإمام علي (ع) ، الإنسان إلى هذا الدّاء

(اللهو) ، وهو يستثير العقول ويرشدها ، فيقول : «عباد الله ! أين الذين عُمّروا فنعموا ، وعُلمّوا ففهموا ، وأُنظِروا فلهوا»؟! (نهج البلاغة/ح٨٣) .

ثم يقول : «أيها النّاس ، اتقوا الله ، فما خُلق امرؤ عبثاً فيلهو ، ولا تُرك سدى فيلغو» (نهج البلاغة/ حكم ٣٧٠) .

لقد حمّل الله البشر المسؤولية في هذه الحياة ، فهل من الصّحيح والمعقول أن يلقي الإنسان هذه المسؤولية عن عاتقه ، ويذهب بعيداً عنها ليلهو ؟!

يقول الإمام علي (ع) : «شر ما ضُيّع فيه العمر ، اللعب» (غرر الحكم) .

ويقول (ع) أيضاً : «أوّل اللهو لعب ، وآخره حرب» (غرر الحكم) .

فإذا ما أردنا إجتناب الحرب وعموم عواقب اللهو السيئة ، واذا ما أردنا الإستفادة من أوقاتنا ، فلنحذف من ساعاتنا دقائق اللهو واللغو ، فإن اللهو يسلب المرء إرادته ويبعده عن الجد ويرميه في وحل الهزل واللاإبالية ، والإمام علي (ع) يحذرنا من ذلك فيقول : «اللهو يفسد عزائم الجد» ، (غرر الحكم) .

وكيف لا يكون كذلك ؟ .

فالمرء إن ترك الجد وإبتعد عن الهدفية في حياته

وعاش اللهو والهزل إنشغل قلبه بتوافه الحياة ووقتئذ لن يورثه اللهـو إلا قساوة القلب ، كمـا قال الإمـام الصادق (ع) عمن طلب الصّيد لاهياً :

«وإنّ المؤمن لفي شغل عن ذلك ، شغله طلب الآخرة عن المـلاهي ، . . . وإن المؤمن عن جميـع ذلـك لفي شغل ، ماله وللملاهي ؟! فإنّ الملاهي تورث قساوة القلب ، وتورث النّفاق» ، مستدرك الوسائل(ج٢ ، ص٤٥٨) .

فمن يملك ولو مقداراً بسيطاً من الوعي والفهم لا يلهو أبـداً إذ أن «أفضل العقـل مجـانبـة اللهـو» وأن «اللهـو ثمـار الجهل» كما يقول الإمام علي (ع) (غرر الحكم) .

وفي مجمع البيان عن معمّر روي عن الإمام الرضا (ع) أنه قال :

«إن الصبيـان قـالـوا ليحيى (ع) اذهب بنـا لنلعب ، فقـال : ما للعب خُلقنـا ، فأنـزل الله فيه : ﴿ **وآتينـاه الحكم صبيّاً** ﴾ مجمع البيان (ج٦ ، ص٥٠٦) .

إنّ نبي الله يحيى (ع) لم يرضى باللعب ، وإنما اغتنم عمره في العمل للهدف الإلهي ، فأعـطاه الله الحكم ، لأنّه ـ كمـا يقول الإمـام علي (ع) : «أبعد النّـاس عن النجّـاح ، المستهتر باللهو» (غرر الحكم) .

والمستهتـر هـو الـلاهي عن عبـادة ربـه ، المنشغـل

بالمعاصي والذنوب .

ومن هنا فلا يجد المستهتر مكاناً له بين مصافّ العظماء والناجحين .

ولو إلتهى التاجر عن تجارته لخسر كلّ شيء ، والطالب المشتغل باللعب واللهو لا يحوز على النجاح ، وهذه سنة من سنن الله في الحياة .

فالملاهي قد تفرح الإنسان ظاهراً إلّا أنها تخيّب أماله في الأخرة بعد أن تلزمه ما إكتسب من المآثم ، فقد قال الإمام علي (ع) :

«لاتفنِ عمرك في الملاهي فتخرج من الدّنيا بلا أمل» ، (غرر الحكم) .

وقال (ع) أيضاً : «لا تغرنك العاجلة بزور الملاهي فإن اللهو ينقطع ويلزمك ما إكتسبته من المآثم» ، (غرر الحكم) .

رابعاً : التسويف

قال تعالى : ﴿ **وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربّ لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصّدق وأكن من الصّالحين ، ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون** ﴾ (المنافقون/ ١٠ ـ ١١) .

لا يشك عاقل في أن تأجيل الأعمال احدى مهدرات الوقت .

ولكن جهل الإنسان ونظراته الضيّقة تجعله مسوفاً في أعماله ، ولربما يلسع المرء من هذا العقرب ألا وهو عقرب التأجيل والتسويف ، ولكنه يعود إليه بكسله وتوانيه ، والكلّ منّا قد مرّ بحالات ـ أو حالة على الاقلّ ـ من هذا النوع ، وعرف نتيجة التسويف جيدا ، ولكنّه البشر الذي يتوب فيعود ، وبعودته هذه يفقد وقته وعمره وحياته .

وفي هذا المضمار كتب الاستاذ (مالك بن نبي) في كتابه (بين الرّشاد والتيّه) تحت عنوان (وزن الوقت) :

«إن الزمن نهر قديم يعبر العالم ، ويروي في أربع وعشرين ساعة الرقعة التي يعيش فيها كل شعب ، والحقل الذي يعمل به ، ولكن هذه الساعات التي تصبح تاريخا هنا وهناك ، قد تصير عدماً إذا مرّت فوق رؤوس لاتسمع خريرها» .

فقد تمرّ على الإنسان فرصا كثيرة ، لو أنه استثمرها لصنع تاريخاً جديداً ، ولربما كانت فرصة واحدة تمرّ على أحدنا ، لو أنه اغتنمها لنقش اسمه في صفحات التاريخ المشرق ، ولكن الإنسان يخادع نفسه فيقول : (الوقت طويل ، فلم العجلة ؟) وكأنّه قد ضمن حياته! وليس له أن

يضمنها .

إنّ التسويف يسرق من الإنسان عمره ، ويقعد بصاحبه عن القيام بواجباته ، فيحـول بينه وبين مـا يطمـح ويتمنى ، وكل ذلك تحت طائلة التسويف والتأجيل .

يذكر الكاتب المعروف (دايل كارنجي) في كتابه (كيف تكسب الثروة والنجّاح والقيادة) قصة تلامس مشكلة التسويف فيقول (أخبرني مدير إحدى دور النشر أنّ آلة كاتبة فُقدت من حجرة مكتبه ، وظلت مفقودة أكثر من عـامين ، ثم اتفق بعد ذلك أن كان يبحث مع سكرتيرته عن ورقة خاصة بين الأوراق المتـراكمة على مكتبـه ، فـإذا همـا يعثـران على تلك الآلـة المفقودة مطمورة بين تلك الأوراق) .

وسبب ضياع الآلة راجع إلى تأجيـل الأعمال المـدوّنة في تلك الأوراق بلا شك .

وفي موقع آخر كتب (لقد روى الدكتور «وليم سـادلر» ـ أحد كبار الأطبـاء النفسانيين ـ أنّ مـدير احـدى المؤسسات الكبيـرة بشيكـاغـو ، جـاء إلى عيـادتـه يـومـاً يشكــو التعّب والإجهاد ، وبينما هو يروي قصتّه ، دقّ جرس التلفون ، وإذا بمدير المستشفى الذي يعمل فيه الدكتور يطلب منـه موافـاته بتقرير عن مسألة معينة ، فسارع إلى كتابة التقـرير ، وأرسله لساعته .

(ثم عاد يستمع لقصة زائره ، ولكن جرس التلفون دقّ مـرّة أخرى ، وكـان هنـاك طلب عـاجـل أيضـاً ، فبـادر إلى تنفيذه ، وما كـاد يفعل حتى جـاء زميل لـه يستشيره في أمـر مريض في حالة خطيرة ، فأدلى إليه بالمشورة المطلوبة .

ثم أقبـل على زائـره ـ مـديـر الأعمــال ـ معتـذراً عن تأخيره ، وشد ما كـان عجبه حين ردّ عليـه قائـلاً : لا داعي للإعتذار ، إنّ الدقّائق التي قضيتها الآن هنا ، جعلتني ألمس مصدر علّتي ، وقد تعلمت منك عمليا كيف أعالجها بأن أنجز مثلك كـلّ ما أستـطيع إنجـازه من الأعمـال ، دون أن أؤجله ساعة أخرى) .

* * *

وفي هذا المجال ما أكثر المقولات والأحاديث الرائعة التي سـطّرها الـرسول الأعـظم (ص) ، والأئمة (ع) ، وهنـا عرض لبعض منها :

يقـول (ص) : «يا أبـا ذر ، إيّاك والتسـويف بأملك ، فإنّك بيومك ، ولست بما بعده ، فإن يكن غداً لـك لم تندم على ما فرّطت في اليوم» ، بحار الأنوار(ج٧٧ ، ص٧٥) .

يشير الرسـول الأعظم (ص) في هـذا الحديث إلى أن الأمل الكاذب يؤدّي بالإنسان إلى التسويف ، وأن يوم الإنسان هو الذي في يده وليس غده ، وإذا جاء الغد وإستثمـره فإنّـه

يحق له أن يندم على ما فاته .

يقول الإمام علي (ع) : «فتدارك ما بقي من عمرك ، ولا تقل غداً وبعد غد ، فإنّما هلك من كان قبلك بإقامتهم على الأماني والتسويف ، وحتى أتاهم أمر الله بغته وهم غافلون» ، بحار الأنوار (ج٧٣ ، ص٧٥) .

ويقول الإمام الباقر (ع) :

«إياك والتسويف! فإنّه بحر يغرق فيه الهلكى» بحار الأنوار ، (ج٧٣ ، ص٣٦٥) .

ويقول (ع) أيضاً : «أوسع أبواب جهنّم باب يُسمّى باب المسوّفين» .

ولأن المسوّفين كثرة ، جُعل أوسع أبواب جهنم مخصصاً لهم .

وجاء في دعاء للإمام علي بن الحسين السجّاد (ع) :

«وأعنيّ بالبكاء على نفسي ، فقد أفنيت بالتسويف والآمال عمري ، وقد نزلت منزلة الآيسين من خيري» ، بحار الأنوار(ج٩٨ ، ص٨٨) .

ولا ملامة إن بكى الإنسان حسرةً على ما ضيّعه من عمره بالتسويف! فالتسويف لا يعني سوى حرق ساعات العمر دون فائدة!

يقول الشاعر في صورة أدبيّة رائعة :

إذا أنت لم تـزرع وأبصـرت حـاصـداً
نـدمت على التفـريط في زمن البـذر

إنّ أقـوى سلاح يجب أن يشهـره الإنسان بـوجه التسويف ، هو أن يتـذكر الآخـرة والموت تـذكراً دافعاً إلى مبادرة الأعمال الصّالحات ، وليس تذكراً لايعدو كونـه خيالاً سرعان ما يتبخر .

ويشيـر عبد الله بن المعتـز في أبيـات شعـر لـه ، إلى حقيقة التفّريط والتسويف ، فيقول منشئاً :

نسيـر إلـى الآجـال في كـلّ سـاعـةٍ
وأيـامّـنـا تُـطوى وهـن مـراجـل
ولـم نـر مثـل الـمـوت حقـاً كـأنـه
إذا مـا تـخـطّتـه الأمـانـي بـاطـل
ومـا أقبـح التفـريط في زمـن الصبّـا
فكيف بـه والشيب في الـرأس شـامـل
تـرحّـل عن الـدّنيـا بـزاد من التـقى
فـعـمـرك أيـام تـعـدّ قـلائـل

خامساً : الغفلة

ينبغي التأكيد على أنّ كثيـراً من المزالق التي يتعـرّض لهـا الإنسـان في حيـاتـه ، منشـأهـا الغفلة ، إذ الغفلة رأس

المعاصي ، فهي تقود الإنسان إلى نسيان الله ، والتكذيب ، والكفر .

ولقد تناول القرآن الكريم مشكلة الغفلة في مجموعة من آياته البينات ، منها الآية الكريمة التالية :

﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لايسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضّل أولئك هم الغافلون ﴾ ، (الأعراف/١٧٩) .

إنّ خطورة الغفلة تكمن في أنّها تلغي دور الحواسّ لدى الإنسان ، فتنسيه قيمة ومبادئه وأهدافه ، وتحوّله إلى مجرد باحث عن اللذات والشهوات ، ومن يكون على حالة كهذه ، لن تجد للوقت عنده ثمناً .

وفي حقيقة الأمر أن الغفلة على قسمين :

أ ـ الغفلة البسيطة (الجزئية) .

ب ـ الغفلة الكبيرة (الكلية) أو (المركبة) .

فقد يغفل المرء عن موعد إمتحانه الدراسي ـ مثلا ـ فيضطر لإعادة الإمتحان ، ولربما لإعادة الدورة الدراسية ، وهذه غفلة جزئية ، تكلفه كثيراً من الجهد ، وتصرف من وقته الكثير أيضاً .

وأخطر من هذه الغفلة البسيطة ، الغفلة الكبيرة ، وهي

أن يغفل الإنسان دوره في الحياة ، ومسؤوليته فيها ، وهذا النوع من الغفلة يحرق عمره فلا يلتفت إلّا عند الموت ، وكأنّه كان نائماً فانتبه ، ولكن بعد أن فات الأوان .

والمصابون بهذا النّوع من الغفلة هم الذين يقول عنهم الإمام علي (ع) :

«فيا لها من حسرة على كلّ ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجّة ، وأن تؤدّيه أيامه إلى الشقوة!» ، (نهج البلاغة خطبة/ ٦٤) .

ويقول الله تعالى : ﴿ **وأنذرهم يوم الحسرة إذ قُضي الأمر وهم في غفلةٍ ، وهم لا يؤمنون** ﴾ ، (مريم/ ٣٩) .

ويحذّر بني آدم من الغفلة الكبرى ، فيقول سبحانه :

﴿ **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم ، وأشهدهم على أنفسهم ، ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ، أن تقولوا يوم القيامة إنّا كنا عن هذا غافلين** ﴾ ، (الأعراف/ ١٧٢) .

فلماذا هذا التحذير ؟

لأنّ الغفلة مرض عضال ، يضيع عمر الإنسان ، فيفتك به .

وكمثال على تشبيه الغفلة ، يُحكى أنّ سارقاً دخل بيتا ليسرقه ، فاستيقظ صاحب البيت ، وقال في نفسه : لأسكتنّ حتى أنظر غاية ما يصنع ، ولأتركنّه ، حتى إذا فرغ مما

يأخذ ، قمت إليه فنغصت ذلك عليه وكدّرته ، فسكت وهو مضطجع في فراشه ، وأخذ السارق يطوف في البيت ، ويجمع ما قدر عليه ، حتى غلب على صاحب البيت النعّاس ، فنام ، ورافق ذلك فراغ السارق ، فعمد الأخير إلى جميع ما جمعه واحتمله وانطلق به ، واستيقظ الرّجل بعد ذهاب السارق ، فلم يجد في منزله شيئاً ، فأخذ يلوم نفسه ويعاتبها ، وهو يقلب كفيّه ويعض أنامله أسفاً وحسرة ، ولات ساعة أسف وحسرة! .

وهكذا تفعل الغفلة في الإنسان ، فتنسيه دوره ومسؤوليته ، وتسرق منه حياته وتفسد عليه أعماله .

ومن هنا يقول الإمام علي (ع) : «إياك والغفلة والإغترار بالمهلة ، فإن الغفلة تفسد الأعمال» .

وقد جعل الإمام علي (ع) الغفلة على رأس قائمة أعداء الإنسان فقال : «الغفلة أضرّ الأعداء» .

قال (ع) محذراً الغافل ومتوعّداً إياه :

«ويل لمن غلبت عليه الغفلة فنسى الرحلة ولم يستعدّ» ، (غرر الحكم) .

ويصف (ع) الغافل بقوله :

«كم من غافلٍ ينسج ثوباً ليلبسه وإنّما هو كفنه ، ويبني بيتاً ليسكنه وإنّما هو موضع قبره» ، بحار الأنوار (ج٧٧ ،

ص٤٠١) .

ويقـول الإمام علي (ع) ـ أيضـاً ـ موجّهـا الإنسان إلى إجتناب الغفلة : «كفى بالمـرء غفلةً أن يضيع عمـره فيما لا ينجيه» ، (غرر الحكم) .

ويقول (ع) ـ أيضاً ـ :

«ألا مستيقظ من غفلته قبل نفاد مدته» ، (المصدر) .

ويقول أيضاً :

«إن من عرف الأيام لم يغفـل عن الإستعداد» ، بحـار الأنوار (ج٧ ، ص٣٨١) .

خلاصة :

وهكـذا فإنّ للوقت آفـاته القـاتله ، هذه الآفـات التي يجب على المرء أن يكافحهـا ويحاربهـا ، لكي يغتنم عمره وحيـاته في عمـل الصالحـات ، وليحفظ دوره ومسؤوليته في الحياة ، وتلك الآفات هي :

١ ـ الفراغ .

٢ ـ اللغو :

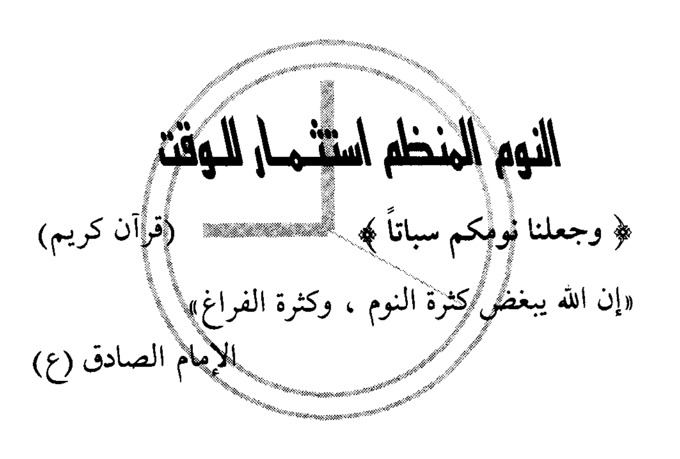
٣ ـ اللهو .

٤ ـ التسويف .

٥ ـ الغفلة .

* * *

الفصل الثالث



النوم المنظم استثمار للوقت

﴿ وجعلنا نومكم سباتاً ﴾ (قرآن كريم)

«إن الله يبغض كثرة النوم ، وكثرة الفراغ»

الإمام الصادق (ع)

النوم المنظم إستثمار للوقت

يأخذ النوم من عمر الإنسان النصف تقريباً ، وقد نُسب لأمير المؤمنين (ع) أنه قال :

«إذا عاش الفتى سبعين عاماً
فنصف العمر محقة الليالي
ونصف النصف من سهو ولهو
ولا يدري يميناً عن شمال
ونصف الربع آمال وحرص
وشغل بالمكاسب والعيال
وباقي العمر آمال وشيب
تدل على زوال وإنتقال
فحب المرء طول الدهر جهل
وقسمته على هذا المثال»

(الكشكول للبحراني /ج١ ، ص١٧) .

إنّ الناس ينامون نصف أعمارهم تقريباً ، وبديهة أن هذه الأوقات التي تذهب في النوم هي محسوبة ـ لحظة بلحظة ـ من عمر الإنسان ، ولا يمكن له أن يسترجع دقيقة أو لحظة مضت من نومه .

ويتحول النوم إلى فراغ إن لم يكن من أجل إستعادة النشاط والقوة ، وكلنا يعلم أن النوم ضرورة ، وأنه لا يمكن لأي إنسان أن يلغي النوم من حياته ، وذلك لأن النوم حاجة ضرورية بيولوجية لجسم الإنسان ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول :

﴿ **وجعلنا نومكم سباتاً** ﴾ ، (النبأ/٩) ، والسبات هو الراحة والدعة .

لا لكثرة النوم :

إن النوم قوة تسيطر على دماغ الإنسان وعقله ، وبه يفقد الشعور والإحساس ، ويعيش اللا إرادية ، ولكن هذه القوة جعلت من أجل إعادة الإنسان إلى نشاطه ، والإنطلاق من جديد في العمل ، لا من أجل إضاعة أوقاته ، أو إفناء عمره ، وما وراء كثرة النوم إلا الفقر في الآخرة والأولى .

قال رسول الله (ص) :

«إياكم وكثرة النوم فإن كثرة النوم يدع صاحبه فقيراً يوم

القيامة» ، بحار الأنوار (ج٧٦ ، ص١٨٠) .

إنك إذا نمت كثيراً ستجد نفسك حينما تستيقظ أنك لم تقدم عملاً تتزود به في دنياك لأخرتك ، وهل هناك أشد فقراً من هذا الفقر ؟!

ويروى عن الإمام الباقر (ع) أنه قال :

«قال موسى (ع) : يا رب ، أي عبادك أبغض إليك ؟ قال : جيفة بالليل وبطّال بالنهار» ، بحار الأنوار(ج٧٦ ، ص١٨٠) .

وهذه الرواية توضح أن الإنسان الذي يكثر من النوم يتحول إلى جيفة ، فالجيفة لا قيمة لها ، وتُرمى في القمامة ، وأكثر من ذلك أنها تؤذي الأخرين وعليه فليس من الصحيح أن يحوّل الإنسان نفسه ـ وهو أشرف المخلوقات ـ إلى ما يشبه الجيفة التي لا قيمة لها .

ثم أن النوم وكثرته لأتصنع الحضارة ، إذ الحضارات لا تصنع إلا بمزيد من السعي والعمل والعطاء ، فهل سمعت أن شعباً نوّاماً صنع حضارة ؟!

وهل سمعت أن أمة فارغة أقامت تقدماً ؟!

قال الإمام الصادق (ع) :

«إن الله يبغض كثرة النوم ، وكثرة الفراغ» ، بحار الأنوار(ج٧٦ ، ص١٨٠) .

ويقول (ع) ـ أيضاً ـ :

«كثرة النوم مذهبة للدين والدنيا» ، بحار الأنوار (ج٧٦ ، ص١٨٠) .

إن القاعدة في الحياة أن الأمور الدنيوية لا تحرز إلا بالنشاط والعطاء وكذلك الأمور الدينية ، وعليه فلن يعطى الإنسان الفوز بالآخرة وبجناتها وهو نائم .

يقول الإمام الكاظم (ع) :

«إن الله يبغض العبد النوّام الفارغ» (الكافي /ج٥ ، ص٨٤) .

ويقول الإمام علي (ع) :

«ما أنقض النوم لعزائم اليوم» ، (نهج البلاغة/ حكمة ٤٤٠) .

فمن شأن النوم الزائد أنه ينقض عزائم الإنسان ، ويلغي طموحاته ، لحالة التناقض بين حالة النوم وحالة العزم ، فقد يقرر المرء عمل شيء ما في يومه ، فينام ، فيعمل النوم على إلغاء ذلك العمل ، ومن هنا لكي ينجز الطموحات والعزائم ، لا بد أن يتخلص من عقبة النوم الزائد .

يقول الشاعر :

مــن طـلب الـعــلا سـهــر الـليــالي
يـغــوص الـبـحــر مـن طـلب الـلآلـي

ويقول الإمام علي (ع) :
«بئس الغـريم النوم يفني قصيـر العمر ، ويفـوت كثير الأجر» ، (غرر الحكم) .

فـالنوم هـو المحبوب الـذي من سمـاتـه إفنـاء العمـر المحدود ، وتفويت كثـرة الأجر على الإنســان ، إذ مع كثـرة النوم ، الحرمان من الأجر والثواب .

يقول الإمام علي (ع) :
«من كثر في ليله نومه فاته من العمل مالا يستدركه في يومه» ، (غرر الحكم) .

وكلنا قد جرّب ذلك ، فما من إنسان إلا وجـرّب كثرة النوم ، ورأى أن كثرته تضيع النشاط والحيوية منه ، وإذا مـا كان المرء ذا أهداف نبيلة وكبيرة ، وكثر نومه ، سيجد نفســه يراوح في مكانه ، بينما أهدافه لم تلامس التحقيق ، ومن هنا تنبع ضرورة تجنب إضاعة أوقات العمر في النوم الكثير .

لا للسهـر الباطـل :

وإذا كان من الناس من يصرف أوقاته ويضيعها في كثرة النوم ، فهناك من يضيع عمره في أن لا ينام ، ويرهق نفســه في السهر الفارغ ، وبلا طائل ، وكل ذلك من أجل أن يقتل

الوقت وكأنه قد حكم على الوقت بالإعدام! وكأن الـوقت لا قيمة له! وما أكثر الذين يصرفون أوقاتهم هـدراً ويقتلونها في السهرات الفارغة وممارسـة الموبقـات! ولو أنهم عـادوا إلى عقولهم لرأوا أن من الجهل والسفه أن يقضي المـرء وقته في هكذا سبيل .

قد يسهر الإنسان في تجارته ، أو دراسته ، أو وظيفته ، أو مهنته ، أو من أجل لقمة عيشه ، هذا أمر حسن ومطلوب ، أما أن يضيع أوقاته في السهر الفارغ واللهو واللغو ، فهذا ليس من الحسن والعقل في شيء .

إن المرء بالنظر إلى النوم يمكنه سلوك أحد طريقين : إما النوم الكافي المحدد الذي يعيد إلى البدن نشاطه وقواه ، وإما السهر في منفعة ، كالسهـر في سبيل الله لأمـر دنيوي أو أخروي .

يقــول تعــالى : ﴿ **إن المتقين في جنــات وعيــون ، آخذين ما اتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين ، كانـوا قليلاً من الليل ما يهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون** ﴾ . (الذاريات/ ١٥ ـ ١٨) .

فقد كان الإمام علي بن الحسين (ع) يدعو في يوم عرفه ويقول :

«وإعمر ليلي بإيقاظي فيه لعبادتك ، وتفرّدي بالتهجـد

لـك ، وتجـردي بسكـوني إليـك وإنـزال حـوائجي بــك» ، الصحيفة السجادية ، دعاء(٤٧) .

إذا كان لا بد من السهر ، فلتسهر العيون ف يعبادة الله وفي سبيله ومرضاته ، فقد قال أمير المؤمنين (ع) :

«سهر العيون بذكر الله فرصة السعداء ونزهة الأولياء» ، (غرر الحكم) .

ويقول رسول الله (ص) :

«لا سهر إلا في ثلاث : متهجد بالقـرآن ، وفي طلب العلم ، أو عروس تهدى إلى زوجها» ، بحار الأنوار(ج٧٦ ، ص١٧٨) .

وعن نافلة الليل يقول الله عز وجل :

﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يـدعون ربهم خـوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون ، فـلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون ﴾ ، (السجدة/١٦) .

ويقول ـ عز وجل ـ أيضاً :

﴿ ومن الليـل فـاسجـد لـه وسبحّـه ليـلاً طـويـلاً ﴾ (الدهر/٢٦) .

ويقول تعالى أيضاً :

﴿ إن نـاشئـة الليـل هي أشـد وطـأً وأقـوم قيــلاً ﴾

(المزمل/٦) .

ويقول رسول الله (ص) :

«ما زال جبرئيل يوصيني بقيام الليل حتى ظننت أن خيار أمتي لن يناموا» .

وسئل الإمام السجاد (ع) : ما بال المتهجدين بالليل من أكثر الناس نوراً ؟

قال : «لأنهم خلوا بربهم فكساهم ربهم من نوره» .

إن إحياء الليل إحياء للعمر ، ومن هنا كان العظماء من الأنبياء والمرسلين والأئمة الطاهرين ، رهباناً بالليل وفرساناً في النهار ، ومثال على ذلك : الإمام علي بن أبي طالب (ع) فهو في ساحة القتال صنديد وبطل ، وفي العبادة كان يقوم الليل ويتهجد لربه ، صائغاً نفسه صياغة إلهية ربانية ، وهو قدوة وأسوة لمن يريد أن يعمر حياته ، وينقش أسمه في قائمة الناجحين والمتقين ، لأن المرء لا يجعله الله من المتقين حتى يتجافى عن المضاجع ، ويعرف كيف ولماذا ينام ، ولا يكثر من النوم ، لأن كثرته وضع للنفس في مطارح التضييع .

وازن بين نومك ويقظتك :

لقد رسم الله ـ سبحانه ـ الحياة بحكمة منه ، وحسب ما يتوافق وطبيعة البشر ، والإنسان الناجح في هذه الحياة هو الذي يكيّف نفسه مع طبيعتها وسنن الله فيها ، ومن تلك

السنن أن جسم الإنسان بحاجة ضرورية وملحة إلى النوم .

قال تعالى : ﴿ **وهو الذي جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار نشورا** ﴾ (الفرقان/٤٧) .

ولقد كثر الكلام بين العلماء حول مسألة النوم بين مؤيد للنوم الكثير وبين معارض له ، ولكل فريق آراؤه ونظراته الخاصة به ، إلا أن المنظور هنا تسليط الضوء على قضية النوم من زاوية الوقت ، فالإنسان ـ شاء أم أبى ـ هو بحاجة ضرورية وأكيدة إلى النوم ، مهما كان وقته قليلاً ، ومن جانب آخر فهو بحاجة إلى إستثمار أوقاته على أفضل صورة ، والنوم يستغرق ساعات من وقته ، فهل من الصحيح أن يلغي النوم من حياته ؟!

وهل من العقل أن يقول القائل : لكي تكسب من اليوم أربعاً وعشرين ساعة يجب أن تنام صفراً من الساعات ؟!

كلا! ليس ذلك من العقل في شيء ، بل هو أمر بعيد الإمكان لأنه خلاف طبيعة الإنسان ويعرض حياته للخطر .

فلو كان بالإمكان إلغاء النوم من الحياة لألغى كثيرون النوم من حياتهم ، بصرف النظر عن أولئك الكسالى الذين لا همَّ لهم ولا عمل سوى النوم .

إن الناجحين هم الذين ينظرون نظرة جديدة لساعات النوم ، إذ لأنجاح إلاّ في اليقظة ، ولكن النوم ضرورة حيوية

لا يمكن إلغاؤها .

صحيح أن الطب توصل إلى صنع عقاقير لمنع النوم ، وأخرى للتنويم . ولكنها مؤقته ، إذ لا يريد الإنسان أن ينام طوال حياته .

ومع أن للنوم حدوده ، إلا أنه سلطان يسيطر على الإنسان ، وهكذا خلقه الله ـ سبحانه وتعالى ـ حيث جعل الليل وظلمته لباساً للإنسان بما يحمل من الهدوء والسكون والطمأنينة والراحة .

النوم ضرورة :

والضرورة الحيوية للنوم تكمن فيما يلي :

١ ـ أن النوم يلغي أثر السموم التي تنتج عن الإرهاق العصبي طوال اليوم ، ومن هنا يقول الإمام علي (ع) : «النوم راحة من ألم» ، (غرر الحكم) .

إذ الإنسان وهو يعمل طوال النهار يقوم بعدة عمليات فسيولوجية ، تسفر عن تولد سموم مادية كيماوية ، وأخرى سموم معنوية ـ إن صح التعبير ـ تتمثل في تعب الأعصاب وإرهاقها ، والإنسان بحاجة إلى التخلص من كلتيهما ، وإلاّ فإنه لا يعمِّر طويلاً .

فلو منع أي إنسان عن النوم بأي شكل من الأشكال : باستعمال المنبهات ، أو باللجوء إلى التعذيب ، فإنه لن يشعر

بالراحة النفسية ، ولا الجسدية ، ويصاب بأمراض خطيرة تضع حداً لحياته .

٢ ـ أن النوم يجدد نشاط الإنسان وقواه ، وهذا أمر مطلوب لكي يعيد التوازن إلى جسده ، أرأيت حينما يصيبك النعاس ، كيف تتصرف ؟ فلربما فقدت القدرة على التفكير ، والتوازن والسيطرة على نفسك ، ولربما نمت في مكانك وهذا إنذار بأن جسمك بحاجة إلى الراحة ، وهو توافق مع السنة الإلهية التي مفادها أن النوم ليس إلا راحة وسباتاً للإنسان .

يقول الإمام الصادق (ع) : «النوم راحة للجسد» ميزان الحكمة(ج١٠ ، ص٢٥٨) .

ويقول الإمام الرضا (ع) : «إن النوم سلطان الدماغ وهو قوام الجسد وقوته» ، بحار الأنوار(ج٦٢ ، ص٣١٦) .

ويفهم من حديث الإمام الرضا (ع) أن النوم بمثابة الجهاز أو المؤسسة التي وظيفتها الدفاع عن الإنسان ، وهذه حكمة بالغة من حكم الباري ـ جل وعلا ـ

حدود النوم :

وفي الوقت الذي يكون فيه النوم ضرورة حياتية ، إلا أنه لن يكون مجدياً إلا ضمن حدود معينة ، إذ ليس المطلوب كثرة النوم ، وليس من الصحيح القول : نم أطول مدة لكي

يرتاح بدنك وأعصابك .

إن المُعَوَّل في النوم ليس على كثرته ، وإنما على نوعيته ، والسؤال الذي يبرز هنا :

كيف يكون النوم نوماً مجدياً ؟

إن النوم المجدي هو النوم الطبيعي الصحي ، ويكون النوم طبيعياً وصحياً إذ أدى الغرض منه ، وهو نزع السموم المذكورة من البدن ، وإعادة النشاط والقوة والطاقة للإنسان .

وللحصول على نوم مجدي لا بد من مراعاة عدد ساعات النوم اللازمة .

ورب سائل يسأل : كم من ساعات النوم يحتاجها الإنسان في اليوم ؟

وهل هناك إلزام بأن يكون نوم الإنسان ثمان ساعات ؟

وحيث أن الإنسان بحاجة إلى النوم لتجديد نشاطه وقواه ـ كما تقدم ـ فيبدو أن الظرف الزمني المحدد بثمان ساعات لا ينسحب على كل الأفراد ، إذ هناك فرق بينهم في المدة اللازمة لتجديد النشاط ، فالبعض يحتاج إلى ثمان ساعات ، وآخر إلى سبع ساعات ، وثالث إلى ست ساعات ، ورابع إلى خمس ساعات ، ولا شك أن سن الإنسان يؤثر في معدل نومه ، فالطفل مثلاً يحتاج إلى النوم أكثر مما يحتاجه الكبير ، وعلى ما يبدو أن الفترة الزمنية

اللازمة من النوم في اليوم تترواح من ست إلى ثمان ساعات ، لا سيما إذا علمنا أن العبرة في النوم ليس بعدد ساعاته ، وإنما بالقدر وبالكيف الذي يزيل السموم ويعيد إلى الجسم والجهاز العصبي نشاطه وقوته .

فقد ينام أمرؤ خمس ساعات ، فيستيقظ وهو مفعم بالنشاط والحيوية وقد ينام آخر عشر ساعات ، ويستيقظ وكأنه لم ينم مطلقاً ، فلا زال يعاني التعب ، ويشعر أنه بحاجة إلى النوم من جديد .

النوم النافع :

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تاثير ساعات ما قبل منتصف الليل للحصول على الراحة أفضل من الساعات التي تليها ، كما أن للإسترخاء دوراً أساسياً في تحقق النوم المجدي النافع ، إضافة إلى ذلك أن الإنسان يمكنه أن يسترخي ـ من دون نوم في الوقت الذي يجد نفسه متعباً مرهقاً .

ومن الأسباب المؤدية إلى الفشل في النوم ، وعدم الوصول إلى الراحة والطمأنينة والنشاط والحيوية منه : الأرق ، هذا العارض الخطير الذي يترك آثاره الخفية على صحة الإنسان ، والذي كتب عنه الكثيرون من علماء الطب والنفس والإجتماع والدين .

والأرق ينجم عن سبب بدني أو نفسي ، وفي كلتي

الحالتين يتسبب في قتل النوم وحرمان الإنسان منه ، وبالتالي حرمانه من الراحة والطمأنينة ، والأرق الناتج عن سبب بدني قد يكون بعلة الأمـراض التي تصيب جهاز التنفس ، أو بعلة ألم الـظهر والـرقبـة ، أو بعلة ألم المعـدة والكبـد ، ومهمـة الأطباء أن يعالجـوا الإنسان إذا أصيب بـأحد هـذه الأمراض لكي يشفي ويتخلص من القلق ، ويمكنــه أن ينـام نــومــاً مريحاً .

وهناك أسباب نفسية للأرق ، وهي أخطر من الأسباب البـدنيـة ، لأن هـذه الأخيـرة معـروفـة ، ويمكن تشخيصهـا بسرعة ، بخلاف الأسباب النفسية ، ومنها القلق والخـوف ، فقد يقلق المرء أو يخاف فيصاب بالأرق ، فلا يتمكن من أن ينام .

وإضافة إلى ذلك فإن نمط الحياة والتفكير وأداء العمل يؤثر في النوم وكيفيته ، فإذا كان المرء طيلة النهار يسيطر عليه التعب والإرهـاق النفسي والتفكيـر بمــوضـوع مــا في غيـر موضعه ، فإنه يصاب بالأرق في الليـل ، بل ربمـا حتى في النهار إذا نام ، ومن هنا فالمطلوب من الإنسان أن يفكـر في أهدافه وعطائه وفي معيشته بصورة تعطيه القناعة والـطمأنينـة ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾ ، لا أن يتكالب على الدنيا ويتصارع عليها .

إن التعب النفسي ، أو الإرهــاق والهـم قــد يحــطم

شخصية الإنسان ، ومن هنا فلا بد للمرء أن ينظم حياته وفق التعاليم والمبادىء والأسس الصحيحة في كل حقول الحياة لكي يتلافى الإصابة بالأرق أو بمسبباته .

ومن تنظيم الحياة : تنظيم النوم ، وتنظيم مواعيد الأكل والدراسة ، . . . الخ .

كما على المرء أن يتفادى تشتيت طاقاته خلال اليوم ، لأن من شأن هذا التشتيت تسبب الأرق ، وبالنتيجة خسارة النهار والليل معاً ، وعدم الشعور بالراحة لا في الليل ولا في النهار ، الأمر الذي يؤدي إلى الإصابة بتقلبات المزاج ، والتقلبات العاطفية ، والبغض ، والحسد ، والضجر ، وكلها عوامل نفسية تؤثر سلباً في حياته ، وتضيع الوقت عليه .

أما النوم الهادىء والمريح ، فهو الوسيلة السليمة والموضوعية لكسب الوقت ، للإنجاز والإنتاج ، وإليك بعض الأمور التي تساعدك في الحصول على نوم هادىء ، ومنظم ، وعلى كسب الوقت :

١ ـ مارس الرياضة البدنية ، إذ أنها تعمل على تخليص البدن من السموم .

٢ ـ إجعل جو الغرفة التي تنام فيها مناسباً من حيث كمية الهواء ونسبة الرطوبة .

٣ ـ التهوية الكافية للغرفة .

٤ ـ الحفاظ على درجة حرارة مناسبة للغرفة .

٥ ـ الإبتعاد عن الضوضاء قدر الإمكان .

وهكذا فإن الخالق ـ عز وجل ـ قد أعطى الإنسان نعماً كثيرة منها نعمة النوم ، حيث ينام الليل آمنًّ مطمئنًّ بعيداً عن الأرق فينتظم حينئذٍ نومه وكلما إنتظم نومه ، إنتظمت أوقاته .
كتاب وقتك حياتك الفصل الثالث

الفصل الرابع

كيف تستثمر أوقاتك؟

(قواعد وأسس في إستثمار الوقت)

﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أُعدّت للذين أمنوا بالله ورسله ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ (قرآن كريم) .

«الفرصة تمرمرّ السحاب فانتهزوا فرص الخير»

الإمام علي (ع)

كيف تستثمر أوقاتك ؟

إنّ الـزمن الذي هـو عنصـر أسـاس من عنـاصـر بنـاء الحضارة ، يمضي ، شاء الإنسان أم أبى .

فلو إجتمـع النـاس جميعـاً ، وحـاولـوا بكـل وسيلة ، وأرادوا أن يـوقفـوا عجلة الـزّمن ، مـا استـطاعـوا إلى ذلـك سبيلاً .

بل إنهم لو اجتمعوا من أجل إرجاع دقيقة أو ثانية واحدة مضت ، لكـان من المستحيل لهم أن يتمكنـوا من إرجاعهـا (حتى يلج الجمل في سمّ الخياط) .

إن الـزمن سمّي كذلـك لأنّ من طبيعته ودأبـه المضي والإنقضـاء والتصرم ، وإلا كيف يميّـزه الإنسـان إذا لم يكن متحركاً ؟

وكيف يمكن له أن يقول : مضت دقيقة ، أو ساعة على كذا أو كذا ؟! .

ولأن الزّمن متحرك ، كانت ضرورة الإهتمام به وإغتنامه في عمل الخير ، وإلاّ فإنه كالسيف يقطع الإنسان إذا لم يقطعه ، كما في الحكمة المشهورة : «الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك» .

يقول الإمام علي (ع) : «خذ من نفسك لنفسك ، وتزوّد من يومك لغدك ، واغتنم عفو الزمان ، وانتهز فرصة الإمكان» (غرر الحكم) .

لقد شبّه الإمام علي (ع) الزمان ، بالإنسان الذي يغفو ، وهذه استعارة مفادها أنّ من يبادر الزّمن ويغتنمه ، فالزمن يغفو له ، وغفوه أن يستثمره الإنسان .

أمّا من لا يبادر الزّمن ويغتنمه ، فلا يغفو الزّمن له ، ذلك أنّ الزّمان يعطي الإنسان إذا اغتنمه ، ولكن بشرط أن يغتنم يومه لغده ، وينتهز فرصة إمكان قيامه بالأعمال ، لأنه لا يدري إن كانت الفرصة ستبقى ـ بعد فترة ـ ممكنة ، أو غير ممكنة ، إذ أنه لا يعلم ما سيحصل في المستقبل ، ومن هنا تنبع أهمية البحث عن الفرص لإستغلالها .

إن من إنتهاز فرص الإمكان ، أن لا يجعل المرء الظروف تتحكم فيه ، بل هو يتحكم فيها لبناء مستقبله

بإطمئنان ، إذ أنه إذا لم يكن مطمئناً في تحركه ، وهجمت عليه الظروف ، آنئذٍ لا يمكنه بناء مستقبله ، ولا الإعداد للفوز بالجنّة في الدار الآخرة ، وهنا تأتي ضرورة إستثمار الأوقات .

ومع أن عمر الأنسان محدود ، وأن أوقاته لا تقدر بثمن جوهر عمره وحياته ، إلا أن كثيراً من الناس لايحسنون طريقة إستثمار أوقاتهم .

يقول الرسول الأعظم (ص) :

(إن العمر محدود لن يتجاوز أحد ما قدّر له ، فبادروا قبل نفاذ الأجل) (بحار الأنوار ج٧٧ ، ص١٧٩) .

ويقول الله (عز وجل) : ﴿ **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أُعدت للمتقين** ﴾ (آل عمران/١٣٣) .

ويقول تعالى ـ أيضاً ـ : ﴿ **سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أُعدّت للذين آمنوا بالله ورسله ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾ (الحديد/٢١) .

فإذا أراد المرء ، النجاح ، فعليه بالمبادرة والمسارعة إلى أعمال الخير ، وإن أراد الفلاح فعليه أن يتسابق إلى طريق الجنة ، وكما يقول القرآن الكريم :

﴿ **والسابقون السابقون . أولئك المقربون . في جنات النعيم** ﴾ (الواقعة/١٠ ـ ١٢) .

فإرادة الجنة تقتضي دفع الثمن ، ورسول الله (ص) يقول : «من إشتاق إلى الجنة سارع في الخيرات» ، (بحار الأنوار/ج٧٧ ، ص٩٤) .

فثمن الجنة أعمال الخير ، والباقيات الصالحات .

ولكي لا يفوت المرء عمل الباقيات الصالحات ، لا بد من مبادرته ومسارعته إليها ، ولن يتأتّى له ذلك إلّا إذا عرف الأسس والقواعد والمبادىء في طريقة إستثمار الوقت .

إنك إن عرفت المبادىء والاسس السليمة في كيفية إستثمار الوقت ، حينها تستطيع أن تنجح في الحياة وفي الوقت نفسه تفوز بالدار الآخرة وجناتها ، وإلّا فلا ضمان لأن تكون مسيرتك في الحياة مسيرة سليمة .

وهنا نتساءل : ما هي المبادىء والأسس السليمة في إستثمار الوقت ؟

إن المبادىء والأسس السليمة في إستثمار الوقت كثيرة ، لأنها تتعلق بكل أمور الحياة وشؤونها ، إلا أننا نستعرض بعضاً من هذه المبادىء والأسس حتى تعيننا على إمتلاك زمام حياتنا وتوجيهها توجيهاً سليماً يحقق لنا مستقبلاً زاهراً في الدنيا والآخرة .

- ١ -

حدّد غايةً خيرةً لحياتك .

وقد تسأل : لماذا ؟

والجواب : لأن الإنسان إذا حدّد له غاية أو هدفا يتطلع إليه ، فإنه سينشدّ إلى تلك الغاية وإلى ذلك الهدف ، وسيُسخر الزّمن من أجل ذلك . أما ذلك المرء اللاهادف الذي لم يحدد هدفاً يصبو إليه في حياته ، سوف لن يكتب له إلّا ضياع الوقت ، وفناء العمر في غير طائل .

ومن هنا فالغاية التي يريد المرء بلوغها هي التي تحركه ، فإذا كانت الغاية نبيلة ، تحرك نحو النّيل والشرف والعفة ، والعمل الصالح . وإذا كانت سيئة ، تحرك باتجاه الشر والسوء ، وسقط في أوحال الرذيلة والجريمة .

لذلك كان لزاماً على المرء الذي يريد أن يضمن

المستقبل ، أن يخطط لحياته ، وأن يستثمر أوقاته في سبيل بلوغ الهدف الخيّر المنشود .

إن عظماء التاريخ كانت لهم أهداف محددة ، فالأنبياء والأئمة (عليهم السلام) والصالحون ، عُرفوا بإستثمار الأوقات ، وذلك للغاية أو الهدف الذي حدّدوه لأنفسهم في الحياة ، بل حتى عظماء الدنيا تجدهم مشغولين بأهداف يرونها هم أهدافاً كبيرة .

أما الإنسان الذي يعيش دون غاية أو هدف في حياته ، فسيؤل أمره إلى أن يكون أضل من الأنعام ، لأن هذه الأخيرة غير مسؤولة عن أوقاتها ، بخلاف الإنسان الذي هو مسؤول عن وقته ، وسيُسأل في الحياة الآخرة عنه .

ومن هنا كان لا بد له أن يحدد الهدف الخيّر ، لكي يخطو نحوه ، ويستثمر وقته في الصالح من الأعمال لكي يبلغ ذلك الهدف .

إنّ اللا أبالية و اللاهدفية ليست سوى اضاعة للعمر ولحياة الإنسان ، وخسارة للدنيا والآخرة .

ومن الناس ـ بالنظر إلى قاعدة تحديد الغاية الخيّرة ـ ، من يقصرون دورهم على التفرج وكأن لا دور لهم ولا هدف في الحياة ، بينما يقوم آخرون بصناعة الظروف والأحداث .

لقد صنع رسول الله (ص) ، التاريخ ، وجعل الآخرين

يكتبونه ويدونونه ، وباستطاعة المـرء ـ باستثمـاره لوقتـه ـ أن يسجّل صفحات مشرقة في سجل التاريخ .

وبناء عليه فـالخليق بالإنسـان أن يكون صـاحب غايـة خيرة في الحياة ، وأن لا يكون من اللاأباليين أو المتفرجين ، وأن يبني ويشيّد ويصنع ويستثمـر وقته ، من أجـل بلوغ تلك الغاية .



- ٦ -

لتكن الجنة غايتك .

بديهةً أن المؤمن يختلف كثيراً عن غيْر المؤمن ، فغاية المؤمن القصوى رضا الله ـ سبحانه وتعالى ـ وإلى هذا المعنى أشار الإمام الحسين (ع) في كربلاء حينما قال :

(رضاً برضاك لامعبود سواك) .

فالمؤمن يحسب حساب رضا الله والفوز بجنّته ، ولا يحسب حساب الدنيا فقط.وإن من يجعل الجنّة غاية له ، سيفوز بها وسينعم في حياته أيضاً ، إذ لا تناقض بين السعي إلى الجنة ، وإتخاذ الدنيا كمزرعة أو كمركب للوصول إليها ، إذ لارهبانية في الإسلام ، وكما قال الرسول الأعظم (ص) لعثمان بن مظعون :

«يـا عثمـان إن الله تبـارك وتعـالى لم يكتب علينـا الرهبانيـة ، إنما رهبـانية أمتي الجهـاد في سبيل الله . . . » (بحار الأنوار/ ج٧٠ ، ص١١٥) .

ومن هنا ليس من الجائز للمؤمن أن ينزوي عن الناس ، ويصبح من الرّهبان ، بل حقّه أن يتنعم في الدنيـا كما يتنعم الآخرون .

يقول تعالى : **﴿ قل من حرَّم زينة الله التي أخرج لعباده والـطيبات من الـرزق قل هي للذين آمنـوا في الحياة الـدنيا خالصة يوم القيامة ﴾** ، (الأعراف/٣٢) .

فـالنعم والطيبـات من الرزق هي ـ أسـاسـاً ـ خـالصـة للمؤمن ، وحيث أن الـدنيـا دار إمتحـان ، فـإنَّ الله ـ تبـارك وتعالى ـ لا يمنع الـرزق عن الناس ، بـل كفل الـرزق حتى للكافرين ، وهذه علامة من علامـات الدنيـا إذ حتى الكافـر ينعم فيها بالرّغم من أنه غير مستحق لتلك النعم والطيبات ، لكفره .

وبناءً عليه فالعاقل هو من يستثمر وقته الثمين في السعي نحو ضمان المستقبل الحقيقي ، وهو الدار الآخرة ونعيمها ، إذ هي الدار الدائمة الباقية .

إزاء هذا المبدأ وهـذه الحقيقة ، هنـاك من الناس من تجـده يقـول : لن أضيـع حيـاتي . . لن أضيـع مستقبلي

وسأبنيه ، وحينما تسأله : وما هو مستقبلك ؟ فيجيب : شهادة النجاح المدرسية أو الجامعية ، والوظيفة!

أن يحصل المرء على شهادة جامعية أو وظيفة ، أمر حسن ، بل قد يصبح ضرورياً في معظم الأحيان ، ولكنّ هذا لا يجب أن يكون بديلاً عن ضمان المستقبل الحقيقي ، وهو مرضاة الله في الدّار الآخرة ، والفوز بالجنة .

والقرآن الكريم يعبّر عن الدنيا ـ بالقياس إلى الآخرة ـ بأنها متاع قليل .

قيل للنبي (ص) : كيف يكون الرجل في الدنيا ؟

قال : كما تمر القافلة .

قيل : فكم القرار فيها ؟

قال : كقدر المتخلف عن القافلة .

قال : فكم ما بين الدنيا والآخرة ؟

قال : غمضة عين ، قال الله عز وجل : ﴿ **كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار** ﴾ ، (بحار الأنوار/ج٧٣ ، ص١٢٢) .

ويقول الإمام علي (ع) :

«أيها الناس إنما الدنيا دار مجاز والآخرة دار قرار ،

فخذوا من ممرّكم لمقرّكم) ، (شرح نهج البلاغة/ج١١ ، ص٣) .

فالدنيا هي أشبه شيء بمحطة في ممر ، يتزود فيها المرء ليصل إلى المحطة النهائية ، وهي الجنة ، والدنيا ـ كما تعبّر عنها الأحاديث الشريفة ـ مزرعة للآخرة ، ولأنها كذلك فإن على المرء أن يكثر الزراعة فيها ، ويستثمرها لكي يجني الجنّة .

وتتمثل الزراعة في ممارسة الصالحات من الأعمال ، وإلا فإن الأجل يأتي بغتة ومن غير رخصة أو إستئذان .

يقول تعالى : ﴿ **ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون** ﴾ ، (الأعراف/٣٤) .

ويقول الإمام علي (ع) :

«لكل شيء مدة وأجل» ، (نهج البلاغة/ خطبة ١٨٨) .

وما دامت هذه الدنيا لا تستحق الإهتمام بها إلّا بمقدار أنها مزرعة للآخرة ، باعتبارها مؤقتة غير دائمة ، فلا بد من الإهتمام بالآخرة وجعل الجنة هي الغاية ،

وقد يسأل سائل : وما علاقة جعل الجنة هدفاً وغاية باستثمار الوقت ؟

وتتبيّن العلاقة في أن الإنسان لا يملك إلا هذا العمر ، فلِم يضيعه في التوافه ؟ ولِم لا يستغله ويستثمره في الأعمال التي تقوده إلى الجنة ونعيمها ؟

والأمر الذي لا بد أن ينتبه له كل إنسان : أن العمر واحد ، وليس للإنسان عمران حتى يجرب الأول ، فإن لم ينجح فيه ، يجّد ويجتهد أكثر في الثاني .

يقول الإمام علي (ع) :

«ألا أيها الناس! إنما الدنيا عرض حاضر ، يأكل منه البر والفاجر ، وإنّ الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر» ، (ميزان الحكمة/ج١ ، ص٣٢) .

فالدنيا عرض يأتي وينتهي ولا يبقى .

ويقول (ع) : «الدنيا منقطعة عنك ، والآخرة قريبة منك» ، (نهج البلاغة/٣٢) .

ويخاطب الله أولئك الذين يريدون الحياة الدنيا باستعماله لفظ (العاجلة) بقوله ـ سبحانه وتعالى ـ :

﴿ من كان يريد العاجلة عجّلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً ﴾ ، (الإسراء/١٨) .

وعن جعل الآخرة ونعيمها غاية قصوى للإنسان ، يقول

تعالى :

﴿ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا ﴾ ، (الإسراء/ ١٩) .

إن الإنسان مدعو لجعل الآخرة والجنة هدفاً أعلى له ، لأن الآخـرة هي الباقيـة ، والدنيـا هي الفانيـة ، ذات المتاع القليل .

يقول تعالى : **﴿ قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ﴾** ، (النساء/ ٧٧) .

ويقول سبحانه : **﴿ بل تؤثـرن الحياة الـدنيا والآخـرة خير وأبقى ﴾** ، (الأعلى/ ١٧) .

٣

لا تشغل نفسك إلا بالعمل الصالح .

لا شك في أن الإنسان عامل في الحياة ، شاء أم أبى ، إذ لا يمكنه البقاء من دون عمل .

غير أنّه ليس المطلوب أن يعمل الإنسان بشكل مطلق ، وإنما المطلوب أن يعمل الصالحات ، وحيث أن الأمر كذلك ، وأن كل دقيقة وثانية ولحظة هو محاسب عليها ، فلِم لا يستثمر أوقاته في ممارسة العمل الصالح ، وليس في أيّ عمل كان ؟

إنّ بإمكان المرء أن يكون مشغولاً دائماً ، وحينما يُسأل عن عدم حضوره أو مشاركته في عمل معين ، قد يتذرع بالمشغولية ، وقد يكون صادقاً ، إلا أنّه مشغول بالتوافه .

والأغرب من هذا أن معظم الذين يضيعون أوقاتهم في التوافه ، وفي الأعمال غير الصالحة ـ ودون قيد أو شرط ـ (يحسبون أنهم يحسنون صُنعا) ، وأن ما يقومون به هو أفضل الأعمال الصالحة!

يقول تعالى : ﴿ **قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً ، الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صُنعا** ﴾ ، (الكهف/١٠٣ ـ ١٠٤) .

وعليه فالعمل المطلوب هو الذي يتسم بالصلاح ، الكائن في القناة السليمة .

ومن هنا أكدّ القرآن على أن عمل الإنسان يجب أن يكون صالحا ، بل أن قرينة الصلاح هي ملازمة للعمل في كل المواطن التي تطرّق فيها القرآن الكريم إلى العمل .

يقول تعالى : ﴿ **فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا** ﴾ ، (الكهف/١١٠) .

ويقول سبحانه : ﴿ **والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** . . ﴾ ، (سورة العصر) .

ويقول عز وجل : ﴿ **ومن عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى هو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب** ﴾ ، (المؤمن/٤٠) .

ويقول الرسول الأعظم (ص) : «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» (بحار الأنوار/ج٧١ ، ص٢٩٠) .

فالمؤمن يحدد غايته ، ونوعيّة العمل ، ولا يتدخل فيما لا يعنيه ، لأنّ في التدخل فيما لا يعنيه بذل للجهد في غير محله ، وإضاعة للوقت في غير الأعمال التي تعنيه ويسأل عنها يوم القيامة .

يقول تعالى : ﴿ **وقفوهم إنهم مسؤولون** ﴾ ، (الصافات/ ٢٤) .

ويقول الإمام علي (ع) : «من أشتغل بما لا يعنيه فاته ما يعنيه» (غرر الحكم) .

والإنسان ليس له قلبان ، فإذا أهتم بالأمور غير الرئيسية والتي لا تعنيه ، يفوته ما يعنيه ، وعليه أن يعمل الصالحات ، ولا يصرف وقته وجهده إلا فيها ، وليفتش عن أفضل الأعمال ، فالله ـ سبحانه وتعالى ـ ينظر إلى النية الصالحة قبل أن ينظر إلى حجم الأعمال ، وربما يمشي المرء في الطريق فيرفع حجراً صغيراً عن طريق الناس ، فهذا عمل صالح لا يستهان به .

جاء في الحديث الشريف :

«إماطتك الأذى عن الطريق صدقة» ، (بحار الأنوار/ج٧٥ ، ص٥٠) .

ويقول الإمام علي (ع) : «من إشتغل بالفضول ، فاته من مهمه المأمول» ، (غرر الحكم) .

فمن ينشغل بالأعمال الفرعية ، وبالجزئيات الصغيرة وبالتوافه ، يفوته ما يريد القيام به من عمل مرجوّ ، ويضيع هدفه .

ويقول (ع) أيضاً : «شر ما شغل به المرء وقته ، الفضول» (غرر الحكم) .

ويقول (ع) أيضاً : «احذروا ضياع الأعمار فيما لا يبقى لكم ، ففائتها لا يعود» (غرر الحكم) .

ويقول الرسول الأعظم (ص) : «الدنيا ساعة فاجعلوها طاعة» (بحار الأنوار/ج٧٧ ، ص١٦٤) .

وهكذا فلكي يحسن المرء إستثمار وقته ، عليه أن يشتغل بالصالحات من الأعمال ، وبما يعنيه ، ويترك الفضول والأعمال التي تهدر الأوقات ، وتضيعها هباءً بلا طائل .
كتاب وقتك حياتك الفصل الرابع (رقم١و٢و٣)

- ٤ -

المزيد من العمل في القليل من الوقت .

ليس من نافلة القول أن القيام بعمل كثير في مدة زمنية قليلة ، من المبادىء والقواعد الهامة في موضوع إستثمار الأوقات .

وتسأل : كيف يتسنى للمرء ذلك ويتأتى له ؟

والإجابة كالتّالي :

لو كان لك مجموعة أعمال وتريد إنجازها في مدة قصيرة ، فأمامك طريقان أحدهما أن تعتمد وتتكل على أن لك متسعاً من الوقت ، وكأنك تملك الحياة! ، والآخرة أن تستعمل التدبير في جعل تلك المدة الزمنية المحددة حافلة بالعمل ، ولا ريب أن الطريق الأول ليس صحيحاً . لأنه

خلاف إستثمار الوقت ، بعكس الطريق الثاني الذي يعتمد التخطيط والتنسيق .

إن بإمكان المرء أن يقوم بمجموعة أعمال في مدة محددة ، إن هو فكرّ في مجموعة الأعمال ونوعيتها ، وإمكانية القيام بها في تلك المدة ، فمثلاً : لو أنك أردت إنجاز عدة أعمال في وقت محدد وقصير ، كأن تريد أن تذهب للسوق لشراء بعض المستلزمات ، وفي الوقت نفسه تريد أن تعود مريضاً ، وأن تراجع طبيباً ، وأن . . . . فكيف يجب أن تتصرف ؟

الأولى بك قبل أن تشرع في التنفيذ أن تستعمل التخطيط ، بأن تلقي نظرة ذهنية على هذه الأعمال ، وتجري عملية تنسيق ، فلعل كل هذه الأعمال ، يمكن إنجازها في ساعة من الزّمن بأجمعها : تشتري المستلزمات ، وتعود المريض ، وتزور الطبيب ، و . . . ، وفي تصورك أنّ كل واحد منها يحتاج إلى ساعة أو أكثر ، فلو كان لك خمسة أعمال ـ مثلا ـ فقد تتصور أنك بحاجة إلى خمس مرات للخروج ، بينما لو إستعملت التخطيط والتنسيق قد يمكنك القيام بها جميعا في مدة زمنية محددة ، وببساطة ويسر .

ومن مزايا هذه القاعدة أنها تختصر الوقت وتختزله ، وإختصار الوقت واختزاله هو أحد صور إستثمار الوقت ، وفي خلاف ذلك ضياع له .

يقول عز وجـل : ﴿ **وتزودا فـإن خير الـزاد التقوى** ﴾ (البقرة/١٩٧) .

ومن جملة ما يفهم من هذه الآية الكريمة : أن الإنسان لكي يتـزود في حياتـه ، لا بد أن يستثمـر وقته ، وأن يبـاشر ويبادر ، ولا يدع الوقت يفوته بدون طائل ، ولا يمكن له أن يتزود إلّا بإنجاز المزيد من العمل في القليل من الوقت .

- ٥ -

إغتنم فترات النشاط والقوة .

بـديهة أن الإنسـان يمـر في عمـره بمـراحـل محـددة ومتدرجة : طفـولة ، شبـولة ، شبـاب ، رجولـة ، كهولـة ، شيخـوخّة ، وليس بيـده أن يرّتب هـذه المـراحـل والفتـرات حسب ما يشتهي ، وعليه أن يغتنم فترات النشاط والقـوة في عمره في سبيل إستثماره لأوقاته .

ومن جهة أخرى فإنّ الظروف التي تمر بالإنسـان ويمر بها هي ليست على وتيرة واحدة ، ذلك أن من شأن الظروف والأيام التقلب والتغيّر ، ومسيـرة التاريـخ البشري أكبـر دليل على ذلك ، وإن كان هذا الأمر بديهي أو مسلّم بصحته ، لا يحتاج إلى دليل .

وحيث أن الأمر كذلك ، فمن غير المجـدي للإنسـان

مصارعة الزّمن ، لأنه يصرع ولا يرحم ، كما من غير المجدي أيضاً الإستسلام المطلق له ، والطريقة الموضوعية للتعامل معه هي إستعمال المرونة معه بإستثمار فترات القوة والنشاط عند الإنسان ، وإن استسلم الإنسان للظروف المتقلبة دون أن يكون رقماً فيها فإنه سيموت قبل أوان موته : الموت بالمعنى الأشمل وهو الموت الحضاري .

إن الإنسان يُخلق ضعيفاً ، ثم يصبح قويا ، ثم يعود ضعيفاً فعليه أن يغتنم الفترة المتوسطة المتميزة بالنشاط والقوة .

يقول تعالى : ﴿ **الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ، ثم جعل من بعد قوةٍ ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير** ﴾ (الروم/ ٥٤) .

ومرحلة القوة والنشاط في حياة الإنسان هي الشباب والرجولة ، هذه المرحلة التي ينبغي له أن لا يفرط فيها وأن يستثمرها أحسن إستثمار .

إنّ مرحلة الشباب هي مرحلة النشاط ، وهي المرحلة الحاسمة في حياة الإنسان ، وهي التي تصوغ شخصيته ، وتبني مستقبله ، فلا بد أن يبادر بجد لإغتنامها .

يقول الرسول الأعظم (ص) : «إغتنم خمساً قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ،

وفـراغك قبـل شغلك ، وشبابـك قبل هـرمك ، وغنـاك قبل فقرك) ، (ميزان الحكمة/ج٧ ، ص٢٨٤) .

وإضافة إلى أن الإنسان يمرّ بمراحل ، وعليه أن يغتنم فترات القوة والنشـاط، إضافـة إلى ذلك فانـه حتى في اليوم الواحد عليه أن يغتنم ساعات القوة والنشاط أيضاً ، بل حتى في الجانب النفسي ، عليه أن يغتنم إقبال نفسه ونشاطها ، إذ أن لها إقبال وإدبار .

جاء في الحديث الشريف : (إن للقلوب إقبالاً وإدباراً فـإن أقبلت فتنفّلوا وإذا أدبـرت فعليكم بـالفـريضـة) (فـروع الكافي/ج٣ ، ص٤٥٤) .

وما دامت هذه النفس تتقلب من حال إلى حال ، فلا بد من إغتنام حالة القوة والنشاط فيها ، كما حالة القوة والنشاط للجسد ، وبذلك يحسن المرء استثماره لأوقاته .

- ٦ -

أنجز الأهمّ ثم المهم .

من الأمور المسلّم بها أن الأعمال في الحياة ليست كلها على درجة واحدة من الأهمية ، ومع ذلك فإن كثيراً من الناس لا يفقهون هذه القاعدة في العمل من الناحية التطبيقية ، مع معرفتهم لها من الوجهة النظرية ، أي أنهم قد يعرفونها نظرياً ، ولكن لا يطبقونها عملياً .

إن كثيرا من أعمال الإنسان تنتظر الإنجاز ، فكيف يمكنه إنجازها على خير وجه ، إذا لم يضع نصب عينيه مبدأ : القيام بالأهم ثم المهم ؟

وببعد المرء عن هذه القاعدة أو بتجاهله لها ، يصاب بالإرتباك والإضطراب ، لكثرة الأعمال وتزاحمها ، الأمر الذي يؤدي إلى تأخيرها وتأجيلها ، وربما الإصابة بالشلل في

القيام بالأعمال ، وحين يصاب المرء بالإرتباك والاضطراب ، لا يقوم بالأعمال ـ في العادة ـ على خير صورة .

ومن نتائج البعد عن هذه القاعدة ، الإصابة بالزحام الفكري ، حيث يتصور المرء أنه مشغول بالأعمال ، ولم يحرك ساكناً ، إذ أن لديه أعمالاً كثيرة لكنه لا يستطيع التحرك من أجل إنجازها ، بسبب عدم تشخيص الأهم من المهم فيها ، أو بسبب القيام بالأعمال الأقل أهمية ، وترك الأعمال الأكثر أهمية .

يقول الإمام علي (ع) : «من إشتغل بغير المهم ضيّع الأهم» (غرر الحكم) .

ويقول (ع) أيضاً : «من شغل نفسه بما لا يجب ، ضيّع من أمره ما يجب» (غرر الحكم) .

إن أعمال الإنسان ـ كما عباداته ـ منها واجب ومنها مستحب ، ومن الناس من ينشغلون بالمستحبات ويتركون الواجبات ، وبذلك تكون النتيجة على حساب الواجبات ، ومن الناس من يضيّع الأهم والمهم معاً ، وينشغل بالتوافه ، وهذا أدهى وأمرّ .

يقول الإمام (ع) : «لا قربة بالنوافل ، إذا أضرت بالفرائض» ، نهج البلاغة ، حكم(٣٩) .

وهكذا فلكي يستثمر المرء وقته ، عليه أن يضع دائما ـ نصب عينيه هذه القاعدة : (الأهم فالمهم) .

- ٧ -

عوّض ما فات من أوقات عمرك .

قد يُضيع الإنسان وقتاً طويلاً من حياته بلا فائدة ، وقد يضيعه في أمور لا تدرّ عليه نفعاً كثيراً ، سواء كان النفع دنيوياً أو أخروياً ، وعندها يقف مع نفسه ويقول : لقد فاتني قطار العمر ، أو لقد فاتني الوقت ، أو أن الوقت غير مناسب ، أو أنني كبرت وطعنت في السنّ ، ولا فائدة ترجى مني ،وقد يستشهد بأمثلة لإظهار ما يقوله بأنه صحيح ، كأن يقول :

(العلم في الصغر كالنقش على الحجر ، والعلم في الكبر كالنقش على الماء) وأنا لست صغيراً حتى أستوعب العلم ، هذا اذا كان الموضوع ، تعلمّ العلم .

* * *

وعن إستثمار الوقت في إرادة التعلم تأتي قصة الشيخ

السكاكي ، فماذا كانت قصته ؟

كان حدّاداً ، فصنع قفلاً ومفتاحاً صغيراً في منتهى الدقة والفن ، إبتدعه إبتداعاً ، وذهب به ليقدمه هدية إلى الملك ، وفي نفس الوقت كان أحد العلماء الكبار يدخل على الملك ، فرأى السكاكي (الحدّاد) ، أن الملك انشغل بذلك العالم أكثر مما انشغل به ، فقال ـ في نفسه ـ

يبدو أن عمل هذا العالم أفضل من عمل الحداد ، فلماذا لا أتوجه إلى الدراسة الدينية العلمية ؟ وكان كبيراً في السن ، أميّاً لا يعرف القراءة والكتابة ، فقرر أن يدرس ويتعلم ، وفي بداية تعلمه، إختبره أحد الأساتذة فأعطاه جملة ليحفظها .

قال له : قال الشيخ : جلد الكلب يطهر بالدّباغة .

فذهب وهو يكرر الجملة ليحفظها .

ولمّا جاء في اليوم التالي ، ليقرأ لمعلمّه المسألة التي تعلمّها بالأمس فقال له : قال الكلب : جلدُ الشيخ يطهر بالدّباغة ، فانزعج الحاضرون منه وطردوه .

فخرج عائداً وهو يبكي حزناً ، ويقول : يبدو أنني لا أصلح للدراسة ، وفي طريقه وجد قطراتٍ من الماء تتساقط على حجر ، وقد شقت القطرات أُخدوداً في تلك الصخرة ، فقال : إنّ هذه القطرات البسيطة قد أثّرت في الصخرة

الصمّاء ، ولا يؤثر العلم فيّ ؟ هل أنا أقل إحتمالاً وتأثراً وحفظاً من هذه الصخرة ؟! فعاود الطريق وقرّر مع نفسه أن يواصل الدراسة حتى أصبح من كبار العلماء .

* * *

ومن هذه القصة يُستنتج خطأ المقولة التي تقول :

(أن قطار العمر قد فات ، أو أن السهم قد مضى) وبدلاً من ذلك على المرء أن يعوّض ما فاته من العمر ، لأن (المرء أبن ساعته) كما قال الإمام علي (ع) وعليه أن يستفيد من ساعته ، وأن لا يضيع الفرصة ، وأن يأخذ العبرة مما مضى ، ليعوّض حاضراً لا أن يكتفي بالتأسف والندم على الماضي .

يقول الإمام علي (ع) : «لو أعتبرت فيما اضعت من ماضي عمرك لحفظت ما بقى» ، (غرر الحكم) .

المبادرة في اللحظة الراهنة ، هو الأمر الكفيل باستثمار الوقت ، أما الإنشغال بالماضي ، فهو مضيعة للوقت ليس إلا .

يقول الإمام علي (ع) : «الإنشغال بالفائت يضيع الوقت» ، (غرر الحكم) .

ومن هنا كانت التوبة تعويضاً للمؤمنين عما مضى ، وفلسفتها أن الإنسان يندم على ما مضى ، ويعوّض حاضراً ومستقبلاً ، ولو أن إنساناً قال : لقد عملت ذنوباً كثيرة فكيف

يمكن أن أعوّض ذلك ؟ يكـون بذلـك قد يئس ، ومن أشـد الذنوب اليأس من رحمة الله ـ عزّ وجلّ ـ .

إنه جل وعلا فتح للناس باباً كبيراً سماه التوبة ، فقال : **﴿ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ﴾** .

والمهم للتائب أن يستغفر ويندم على ما فـات ويصمم على التعويض بالعمل الصالح ، وإلا فما فائدة التوبة من دون تعويض وإنجازات جديدة ؟

يقول الرسول الأعظم (ص) :

«من أحسن فيما بقي من عمره لم يُؤخذ بما مضى من ذنبه ، ومن أساء فيما بقي من عمره أُخـذ بالأول والآخـر» ، (بحار الأنوار/ ج٧٧ ، ص١١٣) .

فلو أن إنسانا كان محسنا طوال حياته ، ولكنّه أساء في العشرة الأواخر من سني عمره فإنه يؤخذ بالأول والآخر ، لأن اخر أعماله كانت سيئة فأحبطت الأولى ، وبذلك يحصد سؤ العاقبة .

أما لو أن إنساناً كان مذنباً في قسم من حياته ، وأحسن في الباقي منها ، فإن سيئاته الماضية تُمحى وتفتح له صفحة جديدة ، وهذا لايعني أن يتكل المرء على جعل القسم الأول

من حياته مخصصا لعمل السيئات ، والقسم الباقي من عمره مخصصا للتوبة وفعل الحسنات .

- ٨ -

حدّد لكل عمل زمناً ووقتاً .

والمقصود من هذه القاعدة أن لا يجعل المرء أعماله تتراكم عليه من دون أن يجعل لكل عملٍ وقتاً محدداً ، وبالتحديد يضمن عدم تضييعه لأوقات عمره ، واستثماره لها على الوجه الأمثل .

فمثلاً : اذا أردت أن تقرأ كتاباً ، حدّد زمناً لقراءته ، لأنك إن لم تحدّد ، فستنشغل بهذا الكتاب عدة ساعات ، وهو يحتاج إلى أقل من ذلك ، وعلى سبيل الفرض أن يكون هذا الكتاب من القطع المتوسط ويتألف من مائة صفحة ، فكم دقيقة تحتاج لقراءته ؟ ستجد أنك تحتاج إلى ما بين ٧٠ إلى ١٠٠ دقيقة تقريباً على حسب سرعتك في المطالعة ، بينما لو تركت الأمر هكذا من دون أن تحدد وقتاً ، فسيظل

هذا الكتاب ساعات أكثر عندك . وهذا لا ينطبق على القراءة فقط ، بل الأعمال كلها على هذه الشاكلة ، فكّل عمل ، حاول أن تحدّد له ـ سلفا ـ وقتاً محدداً (مدة الإستغراق) ، وستجد أنك تفيد من أوقاتك بصورة أفضل .

- ٩ -

إختر وقتاً مناسباً للبدء في العمل .

ينبغي بيان أن أغلب الأعمال ـ إن لم تكن جميعها ـ يكون الوقت المحدّد للقيام بها هو الوقت المناسب للقيام بها .

ومن هنا جاز القول : أن كلّ وقت هو مناسب لكلّ عمل ، هذا في الظرف الطبيعي ، وذلك لأن الوقت يجب أن يُستثمر وأن لايضيع بالتأجيل ، وبحجة أن الوقت غير مناسب ، أو أن موعد العمل لم يحن ، وهذا الأمر ينفع الإنسان حين يجد الوقت ضيقاً ، ولا مجال للتأجيل عنده .

أما إذا أردت أن تخطط لأوقاتك ، فعليك أن تستثمر كل لحظة ودقيقة من حياتك ، ولا بد أن تضع في الحسبان أن تحدّد الوقت المناسب لكل عمل ، صحيح أن ما تقدمّت

الإشارة إليه ، يصلح فيما لو فاجأك العمل ولا يمكن تأجيله أو ما أشبه ، إلا أنه من الأفضل التخطيط للأعمال .

فمثلا المطالعة والقراءة ، والتفكير هي أعمال ، تحتاج - بشكل عام - إلى أوقات يكون الذهن صافيا فيها ، وأن لا يكون الجسم مرهقاً ، إذ الإرهاق يؤثر سلباً على الذّهن ، وبالتالي على التفكير ، وعليه فلا بد من إختيار الوقت المناسب في اليوم ، للمطالعة والتفكير .

ومن الأوقات المناسبة : الفترة الصباحية ، أما إذا كنت مرهقا ، وكان الوقت ما بعد منتصف الليل ، أو آخره ، فإن القراءة أو التفكير قد لا يكون بالصورة الفضلى ، وهذا لا يعني أن لا يقرأ المرء أو يفكر وهو مرهق ، حينما يكون ذلك ضرورياً ، ولكنّ المقصود أن يخطط لأوقاته وأعماله سلفاً فيحدّد لكل عمل وقته المناسب .

وهناك بعض الأعمال يحتاج إليها المرء في أوقات معينة .

فمثلاً : قد يجد نفسه مرهقاً تعباً أو متكدراً من الناحية النفسية ، فهذه فرصة التدبر في القرآن ، لا لسدّ الفراغ ، وإنّما لكي يعرّفه القرآن بنفسه ، إذ أن هذه النفسية التي تعبت بحاجة إلى أن يُجدد نشاطها .

وحينما تجد أنك يائس ، أو لا ترتاح أو لا تطمئن إلى

قضـايـا هــذه الـدنيــا ، أو أُصبت بمشكلة ، إقـرأ القــرآن والأحـاديث الشـريفـة فـإنهمـا يصفـان مثـل هـذه الحـالات ويعـالجـانهـا ، وتجـد في أحـاديث الـرســول (ص) وأهـل بيته (عليهم السلام) أنه إذا أصيب الإنسان بمشكلة معينـة ، عليـه أن يقرأ السـورة الكذائيـة ، لكي يلجأ إلى ربّـه فتُحـل مشكلته .

وتجد في سيرة الأئمة ـ عليهم السلام ـ أمثلة على هذه الحالات النفسية والتربوية التي تقضي وقتا معينا لمعالجتها .

ومن هنا نجد أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد جعل معظم الأعمال العبادية ـ كالصلاة مثلا ـ في أوقاتها المناسبة .

قال تعالى : ﴿ **إن الصـلاة كانت على المؤمنين كتـاباً موقوتاً** ﴾ .

فكل صلاة تقام في وقتها المناسب ، ولو تدبر المرء في أوقات الصلاة ، ومنها صلاة الصبح ، لوجـد أن الإنسان في وقتها يكون نائماً مرتاحاً ، فيؤذن داعي الله (المؤذّن) ، فيقوم من نومه .

وقد يسأل سائل : إنّ هذا الوقت غير مناسب ، فلماذا يوقضني المؤذن ، في وقت أنا نائم ومرتاح ؟

والإجـابـة : لكي لا يغفــل الإنســان عن عبــادة ربـه والخضوع له ، ولكي ينـاجيه ، ويجـدّد العهد معـه ، وكأنـه

يقـول : يـا رب ، أنني مستعـد لأن أقـدّم من راحتي في سبيلك ، وبهـذا اللقاء مـع الباري (جـلّ وعلا) يبـدأ يـومـه الجديد .

جـاء في الحـديث الشـريف : «إذا أحبّ أحـدكم أن يحدّث ربّه فليقرأ القرآن» كنز العمال(خ٢٢٥٧) .

ثم بعـد ذلك ينـطلق الإنسان إلى أعمـاله كـل حسب وظيفتـه ، ويشتغل بـأمـور الـدنيـا ، ويحـدث الصـراع على المعـاش ، فلا بـد في منتصف اليوم لتلك الـروح أن تتجدد وتحـافظ على الحيويـة التي أُستلهمت من صـلاة الصبـح ، فكانت صلاة الظهر ، حيث يقف المؤمن فيهـا ليجدّد البيعـة والعهد مع الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعد مضي نصف نهارٍ تقريباً من الصراع الدنيوي ، والتعامـل مع المـادة ، والإنشداد إلى الأرض .

وكذلك الحال بالنسبة لبقية أوقات الصلاة فالمغرب هو وقت غروب الشمس ، وحينها يكـون الإنسان قـد ودّع يومـاً وتهيّأ لإستقبال يوم جديد .

يقول تعالى :

﴿ أقم الصلاة لدلـوك الشمس إلى غسق الليل وقـرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا ﴾(الإسراء/٧٨) .

ومـع أن الله ـ سبحـانـه وتعـالى ـ جعـل الليـل للنـوم

والراحة ، والنهار للحركة والمعاش ، إلاّ إنّه لا بد للإنسان من أن يتوجه إلى هذا التوقيت (الليل والنهار) ويتدبّره .

﴿ وجعلنا نومكم سباتاً وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً ﴾ (النبأ/٩ ـ ١١) ، ومع أن الليل للنوم والراحة ، إلاّ أنه أفضل الأوقات للتهجد والتقرب إلى الله ، حيث الهدوء التام المطلق .

يقول تعالى : **﴿ ومن الليل متهجَّد به نافلةً لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾** ، (الإسراء/٧٩) .

ويقول تعالى : **﴿ يا أيها المزّمل قم الليل إلا قليلاً نصفه أو انقص منه قليلاً أو زد عليه ورتّل القرآن ترتيلاً . إنّا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً . إنّ ناشئة الليل هي أشدّ وطئاً وأقوم قيلاً . إنّ لك في النهار سبحاً طويلاً ﴾** (المزمل/(١ ـ ٧) .

وما دام للإنسان سبح طويل في النهار ، ومجال واسع للتفرغ لاي عمل من الأعمال الدنيوية ، فليكن له بعض الدقائق من الليل يتهجد فيها إلى ربه ، وهذا الوقت هو المناسب لناشئة الليل ، سواء صلاة الليل أو قراءة القرآن أو الدّعاء والمناجاة ، وهذا مما لا يُوفق كل إنسان إليه ، وهكذا يكون لكل عمل وقته المناسب .

يقول الإمام علي (ع) : «الأمور مرهونة بأوقاتها» (بحار الأنوار/ج٧١ ، ص٣٣٧) .

- ١٥ -

النظام والتنظيم إستثمار للوقت .

ينبغي قول : أن النظام أو التنظيم يختصر الوقت ويستثمره ، ومع ذلك فإن كثيرين لا يرسمون لهم منهاجا أو خطّة لهم في الحياة ، ولذلك تجدهم يضيّعون حياتهم .

ولو نظرت إلى هذا العالم المترامي الأطرف ، لوجدت أن كثيراً من الذاهبين والآيبين والعاملين يضيعون أوقاتهم في أمور تافهة ، أو في لا شيء ، وليتهم يضيعونها في أغراض دنيوية نافعة ، كتعلم لغة ، أو ما شابه ذلك ، وإنما يقتلونها (الأوقات) في القيل والقال ، وفي اللهو والفساد واللعب وما إلى ذلك .

بينما يجد المرء أنّ النظام هو سُنة الكون والوجود ،

وأنّ الله ـ عز وجل ـ يريد للإنسان أن تكون أوقاته وعموم حياته منظمة .

يقول الإمام علي (ع) عن النّظم ، في وصية له :

«أوصيكما «الحسن والحسين» وجميع وُلدي وأهلي ، ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم . . . » .

ونظم الأمر يعني نظم الأمور في جميع المجالات ، ومن ضمنها نظم الأوقات فالله ـ تعالى ـ يقول :

﴿إنَّا كل شيء خلقناه بقدر﴾ .

«أي أن كل شيء خلق وله وقت وأجل ومدة» (تفسير الصافي /ج٥ ، ص١٠٥) .

وهذه هي سنة الله في الحياة **﴿ فلن تجد لسنة الله تبديلاً ، ولن تجد لسنة الله تحويلاً ﴾** ، (فاطر/٤٣) .

إنّ تنظيم الوقت يتيح للإنسان إستثماره في أمور صالحة ومهمة .

وكمثال بسيط على الترتيب والنظم في الوقت والعمل : لو أنّ لوازم المطبخ كانت مبعثرة ، وأردت الحصول على شيء منها ، كمفتاح العلب ـ مثلا ـ وأنت لاتعلم أين موقعه ، فإنك قد تفتش مدة من الوقت للبحث عنه ، ولكن النظم ـ الذي هو ثمر إستعمال العقل ـ يقتضي ترتيب الأدوات

والمستلزمات ، ووضع كل شيء في مكانه ، وبالتالي يختصر الوقت ويُدّخر لأمور أخرى ، أهمّ .

والنظم أو التنظيم لا تقتصـر ضرورتـه على مجال دون مجال ، فهو ضروري لكل جوانب الحياة ، ومنها : الجانب الإقتصـادي والجـانب السيـاسي ، والجـانب الـوظيفي أو المهني ، والعـلاقـات الإجتمـاعيـة ، . . . وفي كـل المجالات ، إذا وضع المرء ترتيبا ونظاما لإعماله ، فإنه بذلك سيحسن إستثمار وقته .

- ١١ -

الوسائل الحديثة تختصر الزمن .

ليس من نافلة القول إذا قيل : أن الوسائل الحديثة ، كـ(الكمبيوتر) ، والآلـة الناسخـة ، والهاتف ، و(التلكس) ، والسيارة والطائرة ، وما إلى ذلك ، أنّ هذه الوسائـل تختصر الـزمن وتستثمـره وهـذه من الحقـائق الملمـوسـة في الـزمن المعـاصر ، إذ أن الحضـارة الحديثـة هي حضـارة السـرعـة وإختصار عامل الزمن ، وهنـا ملاحـظتان ينبغي للمـرء التنبه إليهما :

الأولى : الإبتعـاد عن التفـريط فـي إقتـنـاء تلك الأدوات والوسائل ، فبعض الناس يقتني هذه الوسيلة الحديثة أو تلك لا لأجـل الحاجـة والتسخير والعمـل ، وإنما لـذات الإدخار بإعتبار أنها وسيلة حديثة ، وبذلك يضيع ماله وجهده ووقته .

الثانية : ضرورة إعتناء المرء بالوسائل والأدوات التي يمتلكها ويستخدمها لإنجاز أعماله ، سواء كانت تلك الوسائل والأدوات والاجهزة منزلية ، أو مهنية ، أو غير ذلك ، إذ أن في عطلها تضييع لمالٍ وجهدٍ ووقتٍ .

- ١٣ -

التعجيل في إستغلال فرص الخير

يقول تعالى:

﴿ أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ﴾ (المؤمنون/٦١).

صحيح أن في التأني السلامة وفي العجلة الندامة، ولكن عليك أن تستعجل في أعمال الخير. فالعجلة تورث الندامة فيما يرتبط بالشر. أما فيما يرتبط بالخير فلا بد أن تستعجل أعمال الخير، لأنك لا تدري هل تُوفق لإنجازها مرة أخرى أم لا ؟

يقول الصادق (ع):

« كان أبي يقول: إذا هممت بخير فبادر، فإنك لا

تدري ما يحدث » . (بحار الأنوار/ج٧١ ، ص٢٢) .

وجـاء عن الإمـام علي (ع): « الفـرصـة تمـر مـر السحـاب ، فأنتهـزوا فرص الخيـر » (بحار الأنـوار/ج٧١ ، ص٣٣٧) .

ومن هنـا فالعجلة في أمـور الخيـر مـطلوبـة ، فلربمـا أخّرت فعل الخير فأنساك الشيطان ذكره ، أو حال بينك وبين تأديته فيُفسد نيتك في الإخلاص .

ولذلك يقول الإمام الباقر:

« من همّ بشيء من الخير فليعجّله ، فإنّ كل شيء فيه تـأخير فـإن للشيـطان فيـه نـظرة » . (بحـار الأنـوار/ج٧١ ، ص٢٢٥) .

وقال الرسول الأعظم (ص):

« إن الله يحب من الخيـر مـا يُعـجـل » . (بحـار الأنوار/ج٧١ ، ص٢٢٥) .

ويقول الإمام علي (ع):

« التّؤدة ـ أي التـأني ـ ممـدوحـة في كـل شيء إلا في فرص الخير » . (غرر الحكم) .

وخاصة إذا كـانت الفرص الخيّـرة ترتبط بـالآخرة فـإن الإستعجال فيها مقدم على ما يرتبط بخير الدنيا . وفي ذلـك

يقول الإمام علي (ع):

« إذا عرض شيء من أمر الآخرة فابدأ به ، وإذا عرض شيء من أمر الدنيا فتأنـه حتى تصيب رشدك فيـه » . (بحار الأنوار/ج٧١ ، ص٢١٥) .

- ١٣ -

تعلّم فن السرعة

لا شـك أن السرعـة تختزل الـوقت ، وأنها بمـلازمـة الإتقان مطلب حضاري . وعليه فلا عجب أن توجد مدارس متخصصة في تعليم فنّ القراءة السريعة . وبإمكان المرء تعلم هذا الفنّ بنفسه ، فإذا كنت ممن يجيد القراءة السريعة ـ كأن تقرأ السطر الواحد بنظرة واحدة ـ فإنّك بذلك توفر أوقاتاً أخرى لأعمال أخرى . والسـرعة والأتقـان لا ينحصران في القـراءة فقط ، بل أن أغلب مجالات الحياة وميادينها هي بحاجة إلى عنصر السرعة ، مضافاً إليها الأتقان . وبهما يتمكن المرء من إستثمار أوقاته وأعماله .

- ١٤ -

لا تثق بالزمان ولا تعتب عليه

يخطىء قسم من الناس حينما يحمّل الزمان مسؤولية كل شيء ، وتحميله المسؤولية يكون نتيجة الثقة به ، أي الثقة بالوقت ، وبذلك يبتعد المرء عن تحملها ، ويترك الحبل على الغارب .

وتسأل: ما هي النتيجة التي يجنيها المرء من الثقة بالزمان ؟

والجواب: لا شيء سوى الخسران ، حيث أن الزّمان لا مسؤولية عليه ، بل هو مجرد ظرف لها ، والزمان هو الثانية والدقيقة والساعة واليوم والشهر والسنة و . . . فهل كلّ من هذه الوحدات الزمنية مسؤولة ، أم أنها ظرف لتحمل المرء المسؤولية ؟

لا ريب في أن الإنسـان هو المسؤول ، وإذ أن الامـر كـذلك فـإن عليه أن يسخّـر عامـل الـزّمن في قضيـة تحمله للمسؤوليات ، وأن لا يخاطر بإعطاء الثقة العمياء . وفي هذا الصدد يقول الإمام علي (ع) :

« من وثق بـالزمـان صرع » عيـون أخبار الـرضـا (ج٢ ص٥٤) .

إن الثقة بالزمان تفقد الإنسان الجدية وتزرع واللا أبالية في حياته ، باللا أبالية لن يحصد إلّا الفشل المؤكد ، وهو ما عبّر عنه الإمام علي (ع) بالإنصراع . وكأن الثقة بالزّمن تمثل التهاون في مبارزة الزمن ومنازلته ، الأمر الذي يؤدي بالمـرء إلى الهزيمة والفشل ، ويقول (ع) في كلمة أخرى :

« من أمن الـزمان خـانه ومن أعـظمه أهـانه » . (غـرر الحكم) .

وخيانة الزّمن لمن يأمنه تعبير دقيق عن أن المسؤولية لا يتحملها الزّمان ، بل هي على عاتق الإنسان ، وهل الزّمن من يمتلك العقل والانسانية والبشرية لكي يكون مسؤولاً ؟! كلا!

إن المسؤول هو الإنسان وليس الزمان ، وعليه فإن من يثق بـالـزمـان ، ويضـع كلّهُ عليـه ، سـوف لن يلقى الاّ الخسـران ، وحينهـا سيلوم الـزمـان وسيتحمّـل مسؤوليـة الخسارة ، إلا أن لوم الإنسان يجب أن يوجه إلى نفسه لا إلى

الزمان .

يقول الإمام علي (ع):

« من عتب على الزمان طالت معتبته » . (عيون أخبار الرضا/ج٥ ، ص٥٤) .

إذ ما الفائدة في إلقاء اللوم والتهمة على الزمان ؟ وهل الزمان سيستجيب للإنسان فيحقق له ما يريد ؟!

إن العتاب على الزمان مهما طال وامتدّ ، لن يجعله يعير آذاناً صاغية للإنسان ، وعليه فلا نتيجة من طول العتب عليه .

عن الرّيان بن صلت قال: أنشدني الإمام الرضا (ع) لعبد المطلب:

يعيب الناس كلهم زماناً
وما لزماننا عيب سوانا
نعيب زماننا والعيب فينا
ولو نطق الزمان بنا هجانا
(ميزان الحكمة/ج٤ ، ص٢٣٥)

وهكذا فلكي تحسن إستثمار وقتك ، لا تثق بعامل الزّمن ، ولا تحمله المسؤولية لأنه لم يخلق من أجل تحملها ، بل أنت الذي تتحملها ، ولا تكثر العتاب عليه ، وإنما لتكن رقماً في إغتنامه وإستثماره .

- ١٥ -

لكل يوم عمله

إن أردت النجاح في إنجازك لأعمالك ما عليك إلا أن تعمل وفق القاعدة المهمة التي تؤكدها كلمة للإمام علي (ع) يقول فيها:

« اعمل لكل يوم بما فيه ترشد » . (ميزان الحكمة/ج٦ ، ص٥٤٠) .

إن هذه الكلمة الموجزة هي قاعدة هامة مفيدة لأداء عموم الأعمال . فكثيراً ما تتزاحم الأعمال على الإنسان من كل حدب وصوب ، وليس له وسيلة لإنجازها إلّا تخطيط الوقت والعمل . وبالتخطيط يتمكن المرء من إنجاز الأعمال الكثيرة من دون أن تتزاحم عليه .

ومن أنواع الزحام الناتجة عن عدم التخطيط أو سوئه ، الإزدحام الفكري أو الذّهني . وهو أن يزدحم الذّهن بالأعمال فلا يدري الإنسان بأي عمل يبدأ ، فيكون ذهنه هدفاً لخطوط متشابكة من التفكير في الأعمال الأخرى أو تذكرها حين القيام بالعمل الواحد .

ومن الأمور الهامة في التخطيط ، أن يحسب المرء للوقت واليوم حسابه ، فالحياة ما هي إلاّ مجموعة أيام ، وهذه الأيام لا بد أن تستغل يوماً يوماً حتى تكون خير شاهد لنا وليس علينا ، فقد قال الإمام الصادق (ع) :

« ما من يوم يأتي على أبن آدم إلاّ قال ذلك اليوم يابن آدم أنا يوم جديد وأنا عليك شهيد فقل فيّ خيراً واعمل فيّ خيراً أشهد لك يوم القيامة فإنك لن تراني بعدها أبداً » . (بحار الأنوار/ ج٧ ، ص٢٣٥) .

ولا يحسبّن الإنسان أن أيامه رخيصة ، فيؤجّل أعماله ، وعليه أن يعلم أنّ الأيام قطعة من عمره ، وأنّ « الساعات تخترم الأعمار وتدني من البوار » كما قال الإمام علي (ع) : (غرر الحكم) .

وبما أن الأعمار تنقضي بمجرد مرور الساعات والأيام فلا بدّ أن يعدّ المرء لكل حسابه الخاص به .

- ١٦ -

بادر الفرصة قبل أن تكون غصة

قال الإمام علي (ع) :

« بادر الفرصة قبل أن تكون غصة » . (ميزان الحكمة/ج٧ ، ص٤٤٣) .

إنّ أي عمل حضاري منجز ، سواء كان إجتماعياً أو سياسياً أو إقتصادياً ، أو في أي حقل من حقول الحياة الأخرى ، إنما أُنجز من خلال مبادرة الفرصة وإنتهازها .

ولو تأمل المرء حياة الناجحين ، وحياة الفاشلين في الحياة ، لوجد أن حياة الناجحين هي عبارة عن مجموعة من الفرص المستغلة والمنتهزة ، أمّا حياة الفاشلين فهي عبارة عن مجموعة من الفرص الضائعة والأوقات غير المستثمرة .

وعلى صعيد الشعوب ، كم من شعوب وايتها فرص التحرر والإستغلال في أوقات عصيبة من حياتها فلم تنتهزها ، فظلّت تعيش تحت نير التسلط والتبعية .

ولو تأمل المرء تاريخ البشرية ، لوجد أن هناك كثيراً من الناس والأقوام والأمم ، ضاعت عليهم فرص كثيرة ، وذلك بسبب عدم مبادرتهم إلى إغتنامها . فإغتنام فرص الخير من أبرز وأهم عوامل نجاح الإنسان ، ولذا يقول الإمام علي (ع) :

« الفرصة تمر مر السحاب فانتهزوا فرص الخير » . (ميزان الحكمة/ج٧ ، ص٤٤٢) .

والحقيقة التي يجب أن يُنتبّه إليها هي أن المرء لا يضمن رجوع الفرصة مرة أخرى ، فهي تذهب وقد لا تعود .

يقول رسول الله (ص) :

« كن في الدنيا كأنك غريب ، أو كأنك عابر سبيل ، وعُدّ نفسك في أصحاب القبور » . (بحار الأنوار/ج٧٣ ، ص٩٩) .

وفي هذا الحديث يحّث رسول الله (ص) الإنسان على أن يعتبر نفسه كالغريب في الدّنيا ، أو كواحد من الموتىٰ ، وذلك لكي يستثمر أوقاته ويستغل فرص الخير ويبادر إليها .

ويقول (ص) أيضاً :

« من فتح له باب من الخير فلينتهزه فإنه لا يدري متى يغلق عنه » . (ميزان الحكمة/ج٧ ، ص٤٤٤) .

فحينما ينغلق على الإنسان باب الخير ، لا يدري متى يفتح له لكي يستغله مرة أخرى ، إذا لم يغتنمه ، فلا جدوى من الندم آنئذٍ .

روي أن جبرئيل (ع) قال لنوح (ع) :

« يا أطول الأنبياء عمراً ، كيف وجدت الدنيا ؟

قال : كدارٍ لها بابان ، دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر » . تنبيه الخواطر (ص١٠٦) .

فالحياة هي ممرّ بين بابين ، وعلى الإنسان إغتنام هذه الفترة الزمنية التي بين البابين .

يقول الإمام علي (ع) :

« أيها الناس الآن! الآن من قبل الندم ، ومن قبل أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله ، إن كنت لمن الخاسرين ، أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين ، أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرّة فأكون من المحسنين » . (بحار الأنوار/ ج٧٧ ، ص٣٧٥) .

فالعمر يمضي ، ولا تعود كل دقيقة أو لمحة بصر منه ،

فماذا ينتظر الإنسان ؟

ولم لا يبادر إلى فعل الخيرات ؟

ولم لا يعتبر بالماضين ؟

فقد قال الإمام علي (ع):

« إن الدهر يجري بالباقين كجريه بالماضين ، ما يعود ما قد ولّي ، ولا يبقى سرمداً ما فيه ، آخر فعاله كأوله ، متسابقة أموره متظاهرة أعلامه » . (غرر الحكم) .

إن على الإنسان أن ينظر إلى الماضين ، وأن يأخذ منهم الدّرس والعبرة في كيفية قضائهم لحياتهم ، وفي كيفية نجاحهم أو فشلهم .

أوليست الدنيا سوى الأيام والأشهر التي تمضي وتتصرّم ؟

يقول الإمام علي (ع):

« الدنيا كيوم مضى وشهر انقضى » . (غرر الحكم) .

ويقول الإمام الباقر (ع):

« بادر بإنتهاز البغية عند إمكان الفرصة ، ولا إمكان كالأيام الخالية مع صحة الأبدان » . (بحار الأنوار/ج٧٨ ، ص١٦٤) .

إن الفرصة لا يمكن إغتنامها إلّا إذا كانت ممكنة ، ومن أهم وجوه الإمكان ، صحة الأبدان ، إذ المرض قد يعيق الإنسان من إغتنام الفرص التي تقوم صحة الجسم بدورٍ أساسي فيها . من جهة أخرى لو أن شخصاً أصيب بمرض عضال ، وراجع الطبيب فحدّد له حتفاً متوقعاً بعد ستة أشهر ـ مثلاً ـ مع العلم أن الأعمار بيد الله عزّ وجلّ ، فإن هذا الشخص سيتحول إلى أكبر منتهزٍ للفرص .

وبناءً عليه فإنّ على الإنسان أن يفتش ـ في حياته ـ عن فرص الخير ، ومقومات النجاح ، وأن يعرف كيف ينتهز الفرص في الوقت المناسب .

قال رسول الله (ص) :

« والله ما يساوي ما مضى من دنياكم هذه بأهداب بردى هذا ولما بقي منها أشبه بما مضى من الماء بالماء ، وكلّ إلى بقاء وشيك وزوال قريب ، فبادروا العمل وأنتم في مهل الأنفاس وجدّة الأحلاس[1] قبل أن تأخذوا بالكظم[2] فلا ينفع الندم » . (ميزان الحكمة/ج٧ ، ص٤٤٣) . فحينما تبلغ الروح التراقي ، لا يفيد الندم ، فلا يهدمنّ المرء عمره . ويبدّد أوقاته ، ويضيعها هدراً .

---

(١) الأحلاس جمع حِلِس : ما يوضع على ظهر الدابة تحت السرج .
(٢) الكظم ـ محركة ـ : مخرج النفس .

- ١٧ -

بالتعاون تختصر الزمن

مما لا شك فيه أن التعاون يختصر الزمن ويستثمره ، وأن إنجاز العمل بصورة جماعية أفضل بكثير من إنجازه بصورة فردية إذ أن في الصورة الجماعية توفيراً للجهد والوقت في آن واحد، خصوصاً فيما يرتبط بالأعمال الكبيرة والمهمة التي تحتاج إلى جهود جبّارة وأوقات طويلة .

ومن هنا نجد أن الله سبحانه وتعالىٰ يقول:

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ . (المائدة/٢) .

هَبْ أنّك عزمت على بناء منزلٍ لك ، وكنت خبيراً في شؤون البناء والهندسة والكهرباء والجوانب الأخرى ، فإنك تحتاج إلى مدة أطول لكي تبني هذا المنزل لوحدك ، ودون

الإستعانة بالآخرين . فلماذا تضيع الوقت ؟

إنّ العقل يقول لك: إستفد من عقول وطاقات الآخرين ، وتعاون معهم في بناء بيتك ، فإن سنة الحياة تقوم على التعاون .

يقول تعالىٰ:

﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا ﴾ (الزخرف/٣٢) .

ولو تسألنا عن رغيف الخبز ، كيف يصل جاهزاً ـ للأكل ـ للناس ؟

لكان الجواب: انّ جهوداً كثيرة وكبيرة تبذل يمر بها هذا الرغيف ، تبدأ من الزارع ، فالساقي ، فالحاصد ، فالناقل ، فالطاحن ، . . . فالخابز ، ولو إعتمد الإنسان على نفسه في زراعة القمح ، أو صنع الرغيف لبذل جهوداً أكبر ووقتاً أطول .

إن العمل الجماعي ، أكثر وأسرع إنتاجاً من العمل الفردي ، لأنّه يعتمد على أساس التعاون مع الآخرين .

وعلى سبيل المثال تلك الشركات الغربية الكبرى التي تستطيع الإعتماد على مدخولها من الأرباح الهائلة ، ورغم

هذا الإكتفاء الذاتي إلا أنها تفتش عن شركات أخرى مماثلة لها تتعاون معها ، توفيراً للجهد والوقت ، بالإضافة إلى زيادة الأرباح وغير ذلك من المنافع .

- ١٨ -

الأعمال الناقصة مضيعة للوقت

لمّا كان للإنسان مقياس ، متمثل في فترة بقائه المحدودة في هذه الدنيا ، كذلك فإن العمل الصالح - أي عمل - يجب أن يكون له مقياس ، ومقياسه أن يُنجز ويُتمّ .

فعلى سبيل المثال لو أنّ شخصاً بنى بناءاً ضخماً يناطح السحاب ، ولكنه توقف فيه ولم يتمه ، فإن هذا البناء يكون ناقصاً . وإذ هو ناقص لا يمكن الإستفادة منه ، لانه لا زال غير صالح للسكن ، وهو لا يتعدى كونه منظراً جميلاً ، وإن بيتاً صغيراً متكاملاً يُستفاد منه أحسن من ذلك البناء الضخم الناقص .

والله - سبحانه وتعالىٰ - يوجّه الإنسان إلى الإهتمام بنهايات الأمور والأعمال وعواقبها - فضلا على مقدماتها - .

يقول تعالىٰ :

﴿ فسيروا في الأرض ثم إنظروا كيف كانت عاقبة المكذبين ﴾ (النحل/ ٣٦) .

ويقول سبحانه :

﴿ كذلك كذّب الذين من قبلهم فانظروا كيف كانت عاقبة الظالمين ﴾ (يونس/ ٣٩) .

ويقول ـ عز وجل :

﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾ (القصص/ ٨٣) .

وحيث أن المهم في حياة الإنسان هي العاقبة ، كذلك سائر الإنجازات والأعمال ، المهم فيها إكمالها وإتمامها .

يقول السيد المسيح (ع) :

« إن الناس يقولون إنّ البناء بأساسه وأنا لا أقول لكم كذلك .

قالوا : فماذاتقول يا روح الله ؟

قال : بحق أقول لكم إنّ آخر حجر يضعه العامل هو الأساس » . (بحار الأنوار/ج١٤ ، ص٣٢٢) .

ويقول الرسول (ص) :

« ملاك العمل خواتيمه » . (بحار الأنوار/ج٧٧ ، ص١٣٣) .

ويقول (ص) أيضاً :

« الأمور بتمامها والأعمال بخواتيمها » . (بحار الأنوار/ج٧٧ ، ص١٦٥) .

وبناء عليه ، لا بد للمرء أن يتم العمل الصالح الذي ابتدأه ، لكي لا يذهب العمل سدى ، ولكي لا يضيع في أدراج الرياح .

فالكتاب الذي تعزم قراءته ، حاول أن تقرأه كاملاً ، ولا تتوقف عند حد قبل نهايته ، لأنك إن لم تكمله ، لم تحصد الثمرة منه ، وهكذا الحال بالنسبة لبقية الأعمال صغيرها وكبيرها .

- ١٩ -

لا تهمل الأعمال التي يحتاج إنجازها إلى وقت طويل

هناك من الأعمال ما تحتاج إلى وقت طويل لإنجازها ، فهي لا تنجز في يوم أو ليلة ، وعلى المرء هنا أن يقسّم كل عمل من هذه الأعمال إلى مجموعة من الأعمال ، وحسب إستطاعته عليه أن ينتهز الفرص ، وفي كل فرصة ينجز مقداراً معيناً من ذلك العمل ، وبعد المدّة اللازمة سيجد نفسه وقد أنجز كل العمل .

ومثال على ذلك: لو كان أمامك كتاب يتألف من ٦٠٠ صفحة ، فإنك قد لا ترغب في قراءته بسبب كثرة عدد صفحاته ولو كان ذا فائدة كبيرة . إلا أنّك بإمكانك أنّ تقسّم هذا الكتاب إلى أقسام صغيرة ، تقرأ منه ـ يومياً ـ مقداراً من الصفحات في زمن محدد ، كأن تقرأ ـ مثلاً ـ أربعين صفحة

في ساعة . وستجد بعد مدة أنك أنجزت قراءة هذا الكتاب .

وهكذا سائر الأعمال . فلا تهملها بدعوى أنها تستغرق زمناً طويلاً .

- ٦٥ -

لا تدع أحداً يضيع عليك وقتك

بالرغم من سهولة وبساطة هذه القاعدة ، إلاّ أنّ كثيراً من الناس لا يطبقونها عملياً ، ولذلك تضيع الساعات والأيام من حياتهم هدراً .

إن الوقت شيء قيّم وثمين ينبغي للمرء أن لا يفرط فيه . فقد تريد إنجاز عمل معين ، ويأتي أمرؤ ليضيع عليك وقتك ، فلا تتحرج ، ولا تخجل من أن تقول له بأدب : (معذرة ، أرجو أن تسمح لي ، إذ لديّ عمل ، وآمل أن أراك مرة أخرى)

ولا يظن البعض أنّ هذا خلاف التعامل الحسن مع الناس ، لأن في هذا حرص على الوقت من جانب ، ومعاملة للناس بالتي هي أحسن من جانب آخر . إليس كذلك ؟

إن المـرء في تعامله مـع جسمه ، تجـده يحافظ على صحتـه ، وفي سبيل ذلـك يتناول اللقـاحـات للتحصن ضـد الأمراض . وهكذا الحال بالنسبـة للوقت ، إذ على المرء أن يحصّن نفسه ضد الإصـابة بـوباء إضـاعة الأوقـات وتلفها ، وذلك بأن لا يدع الآخرين يضيّعونها عليه .

- ٣١ -

لا تضيع أوقات الآخرين

كما المطلوب من المرء أن لا يدع الآخرين يضيعون أوقاته ، كذلك ينبغي له - بدوره - أن لا يضيع أوقاتهم ، فكما أن أوقاته قيّمة وثمينة ، كذلك أوقاتهم - هي الأخرى - قيّمة وثمينة ، وهذه من القواعد التي تذكر بمبدأ من المبادىء العظيمة : (أن يحب المرء للناس ما يحب لنفسه ، وأن يكره لهم ما يكره لنفسه) .

وكمثال على الحرص على أوقات الآخرين : لو أن خطيباً أو محاضراً أراد أن يخطب في الناس ، وكان مجموعهم مائة شخص ، وأن الوقت المحدد للخطبة ساعة واحدة ، فإن الخطيب إن لم يُفِد الحاضرين ، يكون قد ضيّع مائة ساعة من أعمارهم ، لكل شخص ساعة ، في الوقت

الذي يمكنهم الإستفادة من هذه الساعة وإستثمارها في أعمال صالحة مفيدة .

وتجدر الإشارة إلى أن الساعة في الغرب لها قيمتها من الوجهة المادية ، إذ تُستغل في الإنتاج ، ويكون قياس العمل بالساعة ، للإحساس بقيمتها وبقيمة العمل .

وهكذا ينبغي للمرء أن لا يضيع أوقات الآخرين ، كما يحب لأوقاته أن لا تضيع .

- ٣٢ -

لا تنجز الأعمال تحت ضغط الوقت

يمكن القـول أن قسماً كبيـراً من الناس مبتلى بـإنجاز الأعمال تحت ضغط الوقت وتأثيره .

وتسأل: ماذا يعني ذلك ؟

والجواب : إنّ ذلك يعني إنجاز الأعمال في الساعات الأخيرة من المدة المتاحة لإنجازها . ومثال ذلك: أن يكـون هذا اليوم هو يوم الثلاثاء ، ويطلب من شخص إعداد كلمة أو خطبة ليلقيها يوم الجمعة في الساعة التاسعة صباحـاً . فبدل أن يقوم بالإعداد لها إبتداءً من يوم الثلاثاء ، أو إبتداءً من يوم آخر قبل يوم الجمعة ، يبدأ بالإعداد لها في يوم الجمعة وقبل ساعة من مـوعد إلقـائها ، وبـذلك يضـع نفسه وعمله تحت ضغط الوقت ، وهذه من الأساليب غير السليمة في التعامـل

مـع الأوقات والأعمـال ، لأن فيهـا مضيعـة للوقت ، وربمـا تقصير في إجادة العمل .

وعليـه فلكي تحسن إستثمـار أوقـاتـك ، وإجـادة أعمالك ، لا تنجـزها تحت ضغط الـوقت ، وإعمل على أن تخطط لها ، وأن تنجزها في فترة كافية من الوقت .

- ٢٣ -

حذار البطالة المقنعة

من الناس من يحسبون أنهم في عمل وشغل ، بينما هم - في حقيقة الأمر - يعيشون حالة من البطالة المقنعة ، يخدعون أنفسهم ، ويظنون أنهم يحسنون صنعاً ، وبذلك تضيع أوقاتهم هدراً .

ومن الناس - وتعبيراً عن حالة البطالة - يستعملون مثل هذه العبارة: (دعنا نقتل الوقت!) وكأن وقتهم زائد عن حاجتهم!

ومنهم من يصرفه في اللهو واللغو ، كما هو حال أصحاب اللهو واللغو .

ومنهم من لا يصرفه في اللهو ، وإنما يصرفه في السهر بلا طائل ، وفي الأحاديث الفارغة التافهة التي ليست بذات

قيمة ، لا في الدنيا ولا في الآخرة .

وقد تسمع أحدهم يقول: (دعنا نسهر لنقتل الوقت!) ، ولكنهم - بالفعل - يقتلون أنفسهم ، ويفنون أعمارهم ، في الوقت الذي ينبغي لهم أن يغتنموها ويستثمروها .

إن إغتنام الوقت وإستثماره يقتضي تجنب الإصابة بحالة البطالة المقنعة .

- ٢٤ -

تخطّى البداية في إنجازك لأعمالك

ينبغي قول: أن البدايات في كل عمل - كتوقيت وكإرادة شروع - هي من الأهمية بمكان ، لأن البدء في العمل قد يكون الشغل الشاغل للمرء ، والأمر الصعب بالنسبة له .

ومن هنا قد تكون البدايات من أصعب مراحل العمل ، أو قد يظنها المرء هكذا . فإن صبر في البداية تمكّن من إنجاز العمل بالشكل الحسن والصحيح .

ومن الناس من يفشلون في بدايات الأعمال أو المشاريع ، بسبب أنهم لا يبذلون الطاقة المطلوبة والجهد المطلوب ، فإذا ضاعت البداية ، كانت النهاية غير محددة .

ومثال ذلك: الطفل ، إذا لم يُهتم به من البداية ، ضاعة حياته .

وهكذا الحال بالنسبة إلى سائر البدايات ، لأن البداية هي ـ في واقعهـا ـ ولادة ، والـولادة ـ أي ولادة ـ بـطبيعتهـا صعبة ، أليس الإنسان لا يولد ، ولا يخرج من بطن أمـه إلا بعد مخاض شديد ؟ والكتاب لا يولد إلا بعد جهدٍ مُضنٍ يبذله الكتـاب أو المؤلف ؟ والمشاريـع تتـطلب بـدايـاتهـا جهـوداً كبيرة ، وأتعاباً جمة ؟

ولو ألقى المرء نظرة على مجريات الحياة ، لوجد أنـه إذا لم يهتم في بدايات أعماله ، تضيع عليه الأعمال كلها ، أما إذا إهتم في البدايات كانت النهـايات نـاجحة . هـذا مع العلم أن إهتمام الإنسان وصبره يجب أن يكونا مستمرين من بداية العمل حتى نهايته ، لا في البداية فقط .

فالبذرة ـ مثلاً ـ لكي تؤتي أكلها لا بد أن يهتم بها منـذ البـدء ، ولا شك أن بـداية زرعهـا تتطلب جهـوداً أكبر ، ثم يستمر الإهتمام بها حتى تصبح شجرة تعطي المأمول منها ، أما إذا لم يهتم بها منذ البداية ، لن تصبح شجرة .

وهكذا فلكي تستثمر أوقاتك ، كن حريصاً على تخطي البدايات في أعمالك ومشاريعك .

- ٢٥ -

إستثمر فترات الإنتظار

إن فترات الإنتظار فرص ثمينة يجب إستثمارها وعدم إضاعتها . فمثلاً: قد تذهب لمراجعة طبيب ، فتجد أن عليك الإنتظار مدة من الزمن (نصف ساعة أو ساعة أو أكثر أو أقل) وقد تريد مقابلة مدير مؤسسة أو شركة ، فتجد أن عليك أن تنتظر مدة من الزمن ، كي تقابل ذلك المدير ، وكثيرة هي فترات الإنتظار في حياة الإنسان .

فكيف يجب أن تتعامل مع فترة الإنتظار المحسوبة من عمرك ؟ إن باستطاعتك أن تستثمر فترات الانتظار في امور ، منها:

١ ـ التفكير

وإستثمار وقت الإنتظار في التفكير أمر بسيط ، ويحتاج

إلى أن تتعوّد عليه .

والمقصود هنا من التفكير ، هو الإيجابي منه وليس السلبي . إنّ المطلوب أن تفكر في الحياة: في مخلوقات الله ـ كالسماوات والأرض ، في الصحة ، في محاسبة النفس ، وفي نحو ذلك من الأمور .

وبإستفادتك من وقت الإنتظار في التفكر والتفكير ستجد أنك تستثمر وقتك من جهة ، ومن جهة أخرى أنك تستمتع بتلك اللحظات .

إن من الناس من يوسم الإنتظار بأنه (قاتل) ، إذ يضيقون ذرعاً منه ، ولكنهم إن إستغلوا هذه الفترات ، سيجدون أنهم إستفادوا منها ، مع أنها ماضية ـ أو إن صح التعبير ضائعة ـ على أية حال .

ويأتي ضمن التفكر والتفكير: إستغفار الله وتسبيحه . ففترة الإنتظار يمكن للمرء أن يجعل منها فرصة لإستغفار ربه وتسبيحه . فما المانع من أن يستغفر المرء ربه مائة أو مائتين مرة ـ مثلا ـ كأن يقول: استغفر الله ربي وأتوب إليه ، وسيجد نفسه أنّه يستمتع بالإستغفار ، إضافة إلى التأكيد على القيّم التي يؤمن بها دونما جهد كبير .

٢ ـ المطالعة .

من الأمور التي يمكن للمرء القيام بها في فترة

الإنتظار: المطالعة .

كيف ؟

أن تحمل معك مجلة ، أو كتاباً (جيبياً) ، وتنتهز فترة الإنتظار في قراءته .

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المجال أنه في الغرب تطبع الملايين من نسخ (كتاب الجيب) ، وهو الكتاب الذي بإمكان المرء وضعه في جيبه ومطالعته في أوقات الإنتـظار . وهذه من القضايا الحضارية في واقعها ، لأن الإنسـان قد لا يجد فرصة للمطالعة إذا كان مشغولاً ، بينما هو قد يجد هذه الفـرصة في أوقـات الإنتـظار عنـد الـطبيب ، أو في محـطة القطار ، أو أية فترة من فترات الإنتظار .

٣ ـ الكتـابـة .

وذلـك بأن يصـطحب المرء معـه قلماً وورقـة أو دفتراً صغيراً ، ثم يقوم بتدوين مشاريع أفكار أو إقتراحات لنفسه ، أو لإسـرته ، أو لـزملائـه في العمل ، أو يعـدّ نقاطـاً لجلسة سيترأسها أو سيشترك فيها .

وربما يتمكن المرء من الحصـول على فكرة ، قـد لا يحصل عليها حين يلتقي بمدير مثلاً ، إذ أن الأفكار قد تأتي للإنسان في فترات مثل فترات الإنتظار ، فيقوم بتدوينها .

وبـإمكانـه أن يكتب موضـوعـات مفيـدة ، أو مقـالات

للصحف والمجلات . كما بإمكانه أن ينتهز فرصة الإنتظار في المكاتبة والمراسلة ، بأن يكتب رسائل لأصدقائه وزملائه في الخارج .

أو بإمكانه أن يكتب كراسات صغيرة . ولو فكّر المرء في كيفية الإستفادة من فترات الإنتظار ، لخرج بكيفيات جيدة .

٤ ـ تكوين علاقات إنسانية

ومن الأمور التي يمكن للمرء ممارستها في فترات الإنتظار: إقامة علاقات إجتماعية . وبحق يمكن القول أن كثيراً من العلاقات المتميزة بين بني البشر قد تنشأ بالصدفة ومن خلال فترات الإنتظار بتوفيق من الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ وقد تراجع ـ على سبيل المثال ـ دائرة ، فيحدث أن تنتظر مع من سواك من المراجعين المنتظرين ، فبإمكانك أن تتعرف عليهم أو على بعضهم . أو قد تزور مدير شركة ، فبإمكانك أن تتعرف على الموظفين وتقيم علاقات معهم . أو قد تكون منتظراً في محطة قطار أو سيارات ، فبإمكانك أن تتعرف على بعض المسافرين . . وهكذا .

- ٣٦ -

إبتعد عن التوافه

إنّ حياتك غالية ، وأوقـاتك نفيسـة ، فلا تُضِيعهـا في التوافه ، مع العلم بأن هناك فرقاً بين التوافه وبين الترفيه .

فالترفيه مطلوب لكي لا يمّل الإنسان ، ولكي يعود إلى عمله بنشاط وفاعلية . أما التـوافه فهي التي تضيـع وقته بـلا طائل ، وربما تعود عليه بالمضرّة ، ومثال ذلك الدخـول في الصَرَعات المجنونة التي لا قيمة لها ، ولا تفيد لا في الدنيـا ولا في الآخرة .

وكصورة من هذه الصَرَعات التي هي نتيجة للوقوع في التوافه ما نشرته مجلة (أكتوبر) المصرية في عددها ٤٥٦ ، عن مجموعة من التائهين الضائعين في هذه الحياة ، الذين لا يفقهـون كيف يستغلون أوقـاتهم ، ويمضـونهـا في ممـارسـة

الشذوذ بشكل مطلق ، ومنه الشذوذ الجنسي ! .

تقول المجلة بما مضمونه : أنّ هؤلاء كانوا جماعات ، ونصّبوا بعضهم رؤساء ، وهم يدفعون إشتراكاً شهرياً لإنضمامهم لتلك الجماعات . كما أنّ للإنضمام شروطاً ، منها أن يتم إختيار العضو بعد الإختيار العملي لمدة شهر!

وتتضمن مراحل التدريب تلقي دروساً خصوصية في الرقص الشرقي والغربي ، وفي كيفية استعمال المساحيق والتبرج .

ثم يقيمون ـ في العادة ـ حفلا خاصاً كلما إنضم إليهم عضوٌ جديد لتشجيع الإقبال على الإنتماء .

كما أنهم يقدّمون كل الشارات المطلوبة للعضوية ، من ملابس وحلل ومساحيق وعطور ، وما إلى ذلك .

وتذكر المجلة : أن في الدستور البريطاني موادّاً قانونية لحماية مثل هذه الجماعات الشاذة ، ومنها جماعة (البانكس) الذين يُصِلّعون رؤوسهم إلى النصف أو إلى الربع ! .

وصورة أخرى للتوافه ، وللصَرَعات المجنونة تلك المباريات التافهة في الألعاب .

فقد قررت أكاديمية السخرية في فرنسا إقامة مسابقتها

السنوية . وشهدت مدينة (مونكرابو) الفرنسية المسابقة الدولية الثالثة لمقدرة الإنسان على تحويل وجهه إلى أقصى درجات الذّمامة والبشاعة! وبعد أن فاز الأنجليزي (جوردن بلاركوك) بكأس البشاعة لعامين متتاليين ، تمكن الألماني (هربرت كرانت) من منافسته وتحقيق الفوز عليه لمدة سنة ، وبذلك إنتخبه القضاة!

ولينظر المرء كيف يضيع هؤلاء أوقاتهم وأوقات الآخرين .

إنّ أعداءنا يعرفون قيمة الوقت ، ولكنهم يعملون على تضييع أوقاتنا . فاليهود ـ مثلاً ـ يعرفون كيف يغتنمون الوقت ويستغلونه ، ولكنهم يعملون على أن تضييع أوقات الشعوب بالهائها .

فقد جاء في نص البروتكول (١٣) من برتكولات حكماء صهيون المشهورة :

« ولكي نبعد الحكومات العالمية عن أن تكتشف بأنفسها أي خط عمل جديد ، سنلهيها أيضاً بأنواع شتى من الملاهي ، والألعاب ، ومزجيات الفراغ ، والمجامع العامة ، وسرعان ما نبدأ الإعلان في الصحف داعين الناس إلى الدخول في مباريات شتى في كل أنواع المشروعات كالفن والرياضة وما يليها ، وهذه المتع الجديدة ستلهي ذهن الشعب حتماً عن المسائل التي سنختلف فيها معه ، وحالما

يفقد الشعب تدريجياً نعمة التفكير المستقل بنفسه سيهتف جميعاً معنا لسبب واحد هو: أننا سنكون أعضاء المجتمع الوحيدين الذين سيكونون أهلاً لتقديم خطط تفكير جديدة » .

وهكذا يعمل الأعداء على إيقاع الناس في أوحال التوافه ، لكي يضيعوا أوقاتهم ويجمِّدوا عقولهم ، ويمنعونهم من التفكير في شؤونهم وقضاياهم من أجل تحقيق مآربهم . فلكي تستثمر أوقاتك إبتعد عن التوافه .

- ٣٧ -

طارد الزمن كي لا يطاردك

يقول الإمام علي (ع):

« إنّما أنت عدد أيام ، فكل يوم يمضي عليك يمضي ببعضك . . . » . (غرر الحكم) .

إنّ الوقت هو الحياة ، فإن أضاعه الإنسان ، أضاع عمره وحياته ، ومن طبيعة الزّمن أنّ عجلته غير قابلة للإيقاف من قبل الإنسان ، ولكن الإنسان يستطيع أن يطارد الزمن ويتسابق معه ، إذ هو كالسيف القاطع ، إن لم يقطعه الإنسان قطعه .

إنّ الزّمن سريع ، ولكن المرء إذا طارده فسيجد أنه بطيء ، وبطء الزمن هو نتيجة التحكم فيه .

وكمثال على ذلك أن تقضي مدة معينة ـ كأسبوع ـ في السفر ، فقد تشعر بقضائك له وكأنك قضيت شهراً أو أكثر في الحضر ، وذلك لأنك في السفر ستحسب حساب الوقت لحظة لحظة في أدائك لمهماتك ، وستجد أن لديك وقتاً إضافياً .

والأمثلة على هذه الحقيقة كثيرة ، جرّب أن تعيّن لنفسك وقتاً بالدقائق لمطالعة كتاب ، أو قضاء حاجة من الحاجات ، أو غرض من الأغراض ، وستجد أن لديك متسعاً من الوقت ، وأنّ الوقت بطيء ، فيا ترى هل توقفت الشمس أو القمر أو الأرض عن الدوران ؟

كلا ! لم يتوقف أيّ منها ، ولكنك قد تحكمت في مقدارٍ معين من الوقت ، وطاردت الزّمن قبل أن يطاردك .

ومثال أخر لذلك: الملائمة بين الساعة الكونية وبين الساعة الداخلية ، فقد يتعوّد الإنسان على توقيت معين ، كالتوقيت الصيفي ، ثم يأتي التوقيت الشتوي ـ كما في بعض البلدان ـ ولنفترض أن التوقيت يُؤخر ساعة واحدة في فصل الشتاء ، فستجد ـ في الأيام الأولى ـ أنك بحاجة إلى ملاءمة ساعتك الداخلية مع التوقيت الجديد ، فإذا كنت تنام في الساعة الثانية عشرة حسب التوقيت الصيفي ، فستجد نفسك تنام في الحادية عشرة في اليوم الأول من التوقيت الشتوي . وفي الواقع أن الساعة الحادية عشرة في فصل الشتاء هي

الثانية عشرة في فصل الصيف ، وبمرور الزّمن ستجد نفسك تتعود على ذلك ، بملاءمتها مع التوقيت الجديد .

وهكذا ، فلكي يحسن المرء إستثماره لوقته ، عليه أن يطارده .

- ٢٨ -

تعلّم كيفية كسب الوقت لا إستغلاله فقط

أن تتعلم كيفيـة إستغـلال الـوقت هـذا أمـر حسن ومطلوب ، ولكن بالإضافة إلى ذلك ولكي توفر الوقت وتحصل على مزيد منه عليك أن تتعلّم كيف تكسب الوقت الإضافي أيضاً .

إنّ البعض من الناس يضيعون أوقاتهم ولا يستثمرونها فهم قاصرون ، والبعض الأخر يتقدمون على أولئك بإستغلالهم لأوقاتهم وإستفادتهم منها ، والأفضل من أولئك وهؤلاء الذين يكسبون الوقت ويوفّرونه .

وكمثال على كسب الوقت:

هناك من الناس من يرتبون حقائب سفرهم في

الساعات أو الدقائق الأخيرة قبل السفـر ، وهؤلاء لا يعرفـون كسب الأوقات . فكسب الوقت في هذه الحالة يتحقق بترتيب حقيبة السفر ، قبل السفر بيومين أو ثلاثة ، أو على الأقل قبل السفر بيوم واحد أو في صباح يوم السفر ، وحتى لو كان للمرء وقت إضافي ، فلربما يحتاجه في قضايا أخرى .

أمّا إذا انشغل بترتيب أمتعته قبل السفر مباشرة ، فلربما تـداخلت عليه الأمـور واختلفت ، وفقد السيـطرة على ذاتـه بمضايقة موعد السفر له .

وعموماً لكي تكسب الـوقت إجعل السـاعات الأخيـرة للطوارىء ، وإذا أردت إنجاز أي عمل فلا تقل: لديّ متسع من الوقت .

فإذا كان العمل يحتاج اسبـوعاً ، فـلا تنجزه في اليـوم الأخير منه ، بل إبدأ بالعمل فيه من اليوم الأول ، وإلّا فإنك ستصبـح مضغوطـاً في اليوم الأخيـر ، ولربمـا أدى ذلك إلى تأجيل العمل ، وهذا خلاف كسب الوقت وإستغلاله .

إنّ الناس يفتشون عن كسب المال ، وهذا أمـر حسن إذا كـان في طـريق الحـلال ، وحيث أن الـوقت أغلى من المال ، إذ بالأوّل يُكسب الآخر ، فإن على المرء أن يصحح رؤيته إلى الزمن لكي يكسب المقدار الإضافي منه .

- ٢٩ -

تعلّم فن البدء بالعمل بالشروع فيه

حينما يبدأ المرء العمل ، فإنّه بذلك ضمن إنتهاز الفرصة وعدم ضياعها ، ومما يؤسف له أن كثيراً من الناس من يعلم خلاف هذه القاعدة ، إذ لا (يورّطون) أنفسهم بالشروع في الأعمال وخاصة الأعمال التي تحتاج إلى وقت طويل ، لأنهم لا يجدون الوقت الكافي لذلك العمل على حد تعبيرهم .

ويمكن القول أن أغلب الناس مبتلى بهذه الحالة ، ولكن الأفضل للمرء أن (يورّط) نفسه في الشروع في العمل ، وسيجد أنّ ذلك الوقت هو الوقت المناسب ، وسينجز ذلك العمل .

وعليه فلا تترك الأمور للزمان ، بل أشرع في عملك

المـراد إنجـازه ، بعـد أن وضعت خـطة لـه فـإن لم تنجــح بنسبـة ١٠٠٪ في هـذا العمـل الـذي يحتـاج إلى متسـع من الوقت ، فلربما تنجح بنسبة ٦٠٪ وهذا النجاح أفضل من اللا نجـاح ومن الحرمـان ، فـ « لا تستح من إعـطاء القليل فـإن الحـرمـان أقـل منـه » كمـا يقـول الإمـام عـلي (ع) ، ويقول (ع) - أيضاً - :

« للمرء في ماله شريكان : الوارث والحوادث » .

فالزمن لا ينتظرك ، ولذا فلتنتهزه بأن تشرع في عملك الذي قررت البدء فيه .

ويقول الإمام الصادق (ع) :

« من إنتظر بمعاجلة الفرصة مؤاجلة الإستقصـاء سلبته الأيـام فـرصتـه ، لأن شـأن الأيـام السّلب ، وسبيـل الـزمن الفوت » . (بحار الأنوار/ج٧٨ ، ص٢٦٨) .

ربما يبرر الإنسان تفويت الفرصة بـأنّه ينتـظر الفرصـة السانحة ، ولكن ليعلم أن للزمن مسيرة وحركة ، فما تسلبـه الأيام منه ، وما يمضي من الوقت ، لا عودة له ، فالأيام من سماتها أن تسلب ، والزمن من طبيعته الإنقضاء .

- ٣٥ -

تفهّم حقيقة الزمن وروحه

قد تمرّ بظرف زمني لا يسمح لك بإنجاز ما تريد إنجازه من الأعمال ، فهل تتوقف عن العمل بحجة أن الظرف غير ملائم ، أم تصارعه وتتحداه وتنجز عملك ؟

في هــذه المسـألــة يكمن الحــل في أن تتفهم روح الزمن ، عملاً بما وضحه الإمام علي (ع) حينما قال:

« من صارع الزمان صرعه » .

إنّ على المرء أن يتنّبه إلى هذه الحقيقة ، إذ لا إفراط ولا تفريط في التعامل مع الزمن .

فالبعض يقول: إن الظرف غير مُواتٍ لإنجاز العمل ، فلا ينجزه ، والبعض الأخر يقول: سأقهر الظروف ولن أعترف

بها كي أنجز أعمالي . والحق إنه لا الموقف الأول هو الصحيح ، ولا الثاني كذلك ، والصحيح هو الموقف المعتدل بينهما ، وهو تقدير الظرف الزمني وقولبة النفس معه لإنجاز الأعمال .

يقول الإمام علي (ع) :

« الأمور مرهونة بأوقاتها » . (بحار الأنوار/ج٧١ ، ص٣٣٧) .

ويقول (ع) :

« من وثق بالزّمان صُرع » . (بحار الأنوار/ج٧٧ ، ص٣٨٤) .

ويقول (ع) :

« من الخرق المعاجلة قبل الإمكان ، والأناة بعد الفرصة » . (نهج البلاغة/حكم ص٣٦٣) .

إن فهم حقيقة الزمن وروحه ومراعاة الظرف الزمني ، من القواعد الجوهرية للقيام بالأعمال ، إذ ليس من الصحيح أبداً إلغاء الأهداف في الحياة أو الإبتعاد عنها .

وقد لا تساعد الظروف المرء لأن يقوم بأعماله ـ بأسلوب معيّن ـ لكي يبلغ الأهداف التي وضعها نصب عينيه ، ولكن بإمكانه أن يعمل بأسلوب أخر ، تسمح

الظروف به .

وبصيغة أخرى: إذا كانت الظروف في فترة ما لاتتلائم وطريقة معينة من العمل ، فإنها تتلاءم وطريقـة أخرى منـه ، مع ثبات الأهداف وعدم ضياعها .

والتكيّف مع الظروف أو التقولب معها ، يستدعي إنتهاز الزمن ، الذي هو إنتهاز الفرص ، مثل من يقتطف الثمرة من غصن الشجرة ، حتى لا تفسد بعد نضوجها . وخليق بالمرء أن يفتش عن الفرص لهذا العمل أو ذاك ، وبذلك يكون قد فهم حقيقة الزّمن من روحه ، فلعل فكرة في موقعها المناسب وفي ظرفها المناسب ، هي أقوى من ألف مدفع ، بشرط عدم ضياع الأهداف .

* * *

والتاريخ يحدّث عن مروان بن محمد ، وهو آخر خلفاء بني أمية ، الذي حاربه العباسيون في معركة (الزاب الأكبر) وسقطت الدولة الأموية بعد هزيمته في تلك المعركة ، وفيها نظر مروان إلى أصحابه وقـال: (إذا إنقضت المدة لم تنفـع العدّة) بالرغم من أنّ عدد الأمويين بلغ مائة ألف أو يزيدون في قبال العباسيين الذين لم يبلغوا العشرين الفاً ، ولما إنتصر العبـاسيون علّل مـروان هزيمـة جيوشـه ، بـأنهم لم ينتهـزوا الفرصة في الوقت المناسب .

- ٣١ -

تسلّح بالمنهجية في أعمالك

والمنهجية تعني التخطيط والتدبير لـلأعمال ، ويمكن القول أن كثيراً من المشاكل التي تحدث في الأعمال ، يرجع سببها إلى سوء المنهجية والتخطيط ، حتى وإن كانت الجهود المبذولة فيها كبيرة ، والأوقات كثيرة .

والإنسان الناجح هو الذي يتعامل مع الأوقات والأعمال على أساس التخطيط والمنهجية . أمّا الفاشل فهو الذي يدّعي بأن لا وقت لديه لكي ينجز الأعمال ، مع العلم بأن للإنسان طاقة كبيرة على القيام بالكثير من الأعمال ، بشرط وجود المنهجية وعلوّ الهمة .



الفصل الخامس

كيف توفق بين العمل والراحة؟

﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾

(قرآن كريم)

«لا راحة للمؤمن على الحقيقة إلّا عند لقاء الله . . . »

الإمام الصادق (ع)



كيف توفق بين العمل والراحة ؟

قال تعالى :

﴿ يـا بني آدم خـذوا زينتكم عنـد كـل مسجـد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ، قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصِّل الآيات لقوم يعلمون ﴾ ، (الأعراف/ ٣١ ـ ٣٢) .

هناك نظرتان في الحياة ، أولهـا : نظرة اللهـو واللعب والهزل وأصحاب هذه النظرة يحسبـون أن الحياة خلقت من أجل اللهو واللعب والهزل ، وبالتالي فهم يتصرفون وفق هذه النـظرة ، فـلا يعتبـرون العمـل في هـذه الحيـاة مقـدسـاً ، ويخلطون بين العمل والهزل ولا يفـرقون بينهمـا . ويعتبرون الحياة هزلية عبثية ، وأكثرية النـاس على هذه النـظرة (وقليل

من عبادي الشكور) .

أما النظرة الأخرى ، فهي النظرة الهادفة في الحياة ، وأصحابها يرون بأن الحياة خلقها الله ـ عز وجل ـ من أجل غاية وهدف ، ولم تخلق عبثاً ، وهؤلاء ينظرون للحياة نظرة تقديس : إذ يقدسون الهدفية في الحياة ، ويؤمنون أنهم جاءوا إلى هذا الوجود ـ ولمدة معينة ـ من أجل هدف وغاية .

إذ أن الهدفية من الله ـ سبحانه وتعالى ـ واللهو واللعب من إبتداع الناس ، وهاتان النظرتان هما اللتان تحددان سلوك أي فرد أو مجموعة من بني البشر على وجه الأرض ، فإمّا هذه أو تلك .

والإنسان المؤمن ـ كغيره من بني البشر ـ يحتاج إلى الراحة ، وهو متى ما إحتاج إليها سيضطر إلى أخذها ، ولكنه يأخذها بشرطها .

إنّ من غير الممكن لأي إنسان أن يعمل بشكل متواصل دون أن يلجأ إلى الراحة لكي يستعيد نشاطه ومن ثم يعود إلى العمل ، إذ أنه يتعب بعد الجهد في جانبين : الجسدي ، والروحي .

ومن هنا فالإنسان بحاجة إلى راحة جسدية ونفسية .

إنه بحاجة إلى الراحة ولكن لا لذات الراحة ، وإنما من أجل تجديد القوى ، والعودة إلى العمل بنشاط وفاعلية .

أما إذا كانت الراحة من أجل الراحة نفسها ، فهذا هو العبث ، لأنّ الإنسان ـ والحال هذه ـ لا يفقه الحكمة والسبب والهدف من راحته .

ونظرة المؤمن للراحة نابعة من نظرته الهادفة إلى الحياة ، فهو يؤمن بأنّ له دوراً فيها ، وأنّه لا بد له من السعي والجد والإجتهاد .

ولكي يحسن المرء التوفيق بين العمل والراحة ، وبين السعي والترفيه ، من أجل أن يستثمر أوقاته .

نستعرض بعضاً من قواعد التوفيق بين العمل والراحة .

- ١ -

حدّد أوقات الراحة والترفيه .

لا شك أنّك حينما تعمل وتبذل الجهد ، ستجد نفسك متعباً ، وأنّك بحاجة إلى الراحة ، وأنّ الراحة تحتاج وقتاً ، فلتجعل وقتها محدداً غير مفتوح ، لأنّه بجعله مفتوحٌ تضيع عليك أوقاتاً كثيرة .

إنّ الذي يحدد وقت الراحة ، هو نوعية الجهد المبذول والتعب الناتج بسببه ، فالتعب القليل يحتاج إلى راحة قصيرة ، والتعب الكثير يحتاج راحة أكثر .

وبكلمة : إنّ الراحة يجب أنّ تكون بالمقدار الذي يعيد لك نشاطك ، أو هي بالمقدار الذي يتناسب مع الجهد الذي بذلته .

وهكذا هو الحال بالنسبة لأوقات الترفيه عن النفّس ،

وهي أوقات راحة ـ في الغالب ـ لتكن محددة أيضاً .

إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ في الوقت الذي أراد للإنسان أن يكدح ويجد ويجتهد ، أراد له أيضاً أن ينعم بالراحة .

فكل شيء في الحياة سخّره الله من أجل الإنسان ، فكيف يمنعه من الإستمتاع بذلك ؟

فالزينة والطيبات من الرزق هي من أجل أن يستمتع بها الإنسان ، ولا شك أن في الإستمتاع بها راحة له وترفيه عن نفسه ، وخروجاً عن دائرة التعب الذي يصيبه خلال اليوم .

ولكن الراحة يجب أن تكون بميزان ، بعيداً عن الإسراف في الكم والنوع .

وتجدر الإشارة إلى أنّ المؤمنين هم الأولى بالطيبات من الرزق وإن كان الله يرزق المؤمنين والكافرين على حد سواء ﴿ **كلاّ نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا** ﴾ ، (الإسراء/ ٢٠) .

وأنّ المؤمنين يستمتعون الإستمتاع الكامل في الدار الآخرة ، وذلك لما يصيبهم في الحياة الدنيا من ضغوطات وعقبات ومصائب ، ففي الآخرة يتوفر الإستمتاع الخالص والمطلق لهم .

يقول تعالى :

﴿ قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنو في الحياة الدنيا خالصةً يوم القيامة كذلك نفصّل الآيات لقوم يعلمون ﴾ ، (الأعراف/٣٢) .

وهكذا فلكي تحسن التوفيق بين العمل والراحة ، وبين السعي والعمل ، خليق بك أن تجعل أوقات راحتك وترفيهك محددة غير مفتوحة ، بلا إفراط ولا تفريط ، وبذلـك تضمن حصولك على الراحة والترفيه بالمقدار اللازم ، دون أن تخسر إستثمارك لأوقاتك .

- ٦ -

لا تخلط أوقات الجد بأوقات الراحة والترفيه .

قد تقول أنني حدّدت أوقاتاً لراحتي وترفيهي ، هذا أمر حسن ، ولكن بالإضافة إلى ذلك إنك بحاجة إلى أن لا تخلط بين وقت العمل ووقت الراحة ، وإلاّ ضاع عليك العمل والراحة معاً .

ومن حكمة الله ـ جل وعلا ـ أن جعل الوقت يتألف من ليل ومن نهار ، بما يتناسب والفطرة التي فطر الإنسان عليها ، فجعل ـ سبحانه ـ الليل للراحة والسكون ، والنهار للسعي والحركة ، وما أحسن هذا النظام الحيوي الذي يراعي تكوين الإنسان ، وينظم حياته وفقه .

ويشبّه الباري ـ عز وجل ـ الليل باللباس ، لأن اللباس من شأنه أن يحفظ جسم الإنسان ويستره ، ويحميه من الحر

والبرد ، وهكذا الحـال بالنسبـة لليل ، فهـو كاللبـاس ، لأنه ظرف راحة الإنسان ، وحماية له من مسببات التعب والإرهاق الجسدي والنفسي .

وعليه ، فلكي تحسن التوفيق بين العمل ، وبين الراحة والترفيه ، اعمل على أن لا تخلط بينهما .

- ٣ -

لا تجعل كل أوقاتك راحةً وترفيهاً .

هناك من الناس من حوّلوا كل حياتهم راحة وترفيهـاً ، وينسى هؤلاء أو يتناسوا الحكمة من وراء الراحة والترفيه .

إن الـراحة والتـرفيه ضـرورتان لمن يحتـاجهما ، أمـا أولئك الذين جعلوا حياتهم راحة دائمة وترفيهاً ، وأصبح كل همهم اللهو واللعب ، هل هم بحاجة إلى الراحة والترفيه ؟!

والحقيقة التي يجب أن يدركها كل إنسان ، أن الراحة والترفيه لا يشعر بقيمتهما ، ولا يحس بلذتهما ، إلا من يعمل ويتعب ويبذل الجهد .

ومن هنا لو سألت إنساناً : متى تشعر بلذة الراحة ؟

لأجابك : حينما أكون متعباً .

بـل حتى الطعـام لا يلتذ بـه الإنسان إلا حينمـا يكون جائعاً ، وهل يشعر الشبّعان بلذة الطعام والشراب ؟!

إن العـامل الـذي يقضي نهاره في الشغـل والعمـل ، ويعود إلى منزله متعباً ، ثم يرتاح ، يشعر أن كل دقيقة يرتاح فيهـا نعمـة ، وذات قيمـة ، وكلمـا زادت شـدة الإرهـاق والتعب ، كلما زاد الإحساس بحلاوة الراحة .

أمـا أولئك الـذين يقضون كـل حياتهم في الـراحـة ، يفقـدون طعمها ، وتتحـول حياتهم إلى فـراغ دائم ، ينقلب عليهم تعبـاً وإرهـاقـاً روحيـاً ، حتى أنهم يجـربـون شتى الإستمتاعات ، ولكنهم لا يلتذون بها ، وقد يلقون بـأنفسهم في موارد الهلاك ـ كالمخدرات ـ بحثاً عن الراحة والإستمتاع إلاّ أنهم لا يجدونهما. فـالراحـة واللذة عندهم كـالسراب ، فكلما أقتربوا منه لم يجدوه شيئاً .

إن المـزيد من الفـراغ والراحـة يعني اللاراحـة ، كما تقول الحكمة الشهيرة : (كل شيء يزيد عن حدّه ينقلب إلى ضده) ، وهكذا فلكي تحسن التـوفيق بين العمل والـراحة ، وبين السعي والتـرفيه ، لا تجعـل كل حيـاتك ظـرفاً للراحـة والترفيه ، بل إتعب وإبذل الجهد لكي تعرف طعم الراحة .

- ٤ -

لتكن راحتك هادفة .

رُب سائل يسأل :

ما دامت الراحة هي راحة ، فماذا يعني جعلها هادفةً ، وكيف ؟ وهل الراحة إلا اللهو واللعب وما إلى ذلك ؟!

والحق إن هذه النظرة خاطئة ، لأنها تنم عن عبثية في الحياة ، لأن الراحة بالمنظار الهادف ـ كما تقدم ـ هي من أجل تجديد نشاط الجسم والروح أو النفس ، للعودة إلى العمل بروح جديدة .

يقول تعالى في (سورة الإنشراح) : ﴿ **فاذا فرغت فانصب** ﴾ .

ويقول تعالى : ﴿ **ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار**

لتسكنـــوا فيـــه ولتبتغـــوا من فضله ولـعلكـم تشكـــرون ﴾ (القصص/٧٣) .

فالله سبحانه وتعالى جعل الليل سكناً وراحة للنـاس ، من أجل أن يسعوا ويعملوا ويتعبوا في النهار في وجوه الخير والصلاح .

في رواية أن الإمام الصـادق (ع) وجد بعض اصحـابه جـالساً في وقت السعي والعمـل وطلب المعاش ، فقـال لـه ـ وكـأنه ينهـره ـ: أُغدُ إلى عـزّك ، ناهيـاً له عن الـوقوع في الراحة الدائمة دون عطاء .

أمـا عن كيفية جعـل الراحـة هادفـة ، فبالاضـافة إلى ساعات النـوم التي يقضيها المـرء في الراحـة ، يستطيـع أن يجعل ساعات راحته الأخرى متسمة بالهدفية .

وعلى سبيل المثال ـ لا الحصر ـ يمكن للمرء أن يشترك في مسـابقة لحفظ الأبيـات الشعريـة النافعـة المحتويـة على الحكمة . ففي الوقت الذي يرتاح فيه الإنسان ويستمتع بتلك الأبيات ويقضي وقتاً طيباً ، في ذات الوقت تكون تلك الراحة في شيء نافع وهادف .

أو أن يـرّفه الإنسـان عن نفسه في بعض الـريـاضـات كالرّمي ، والسباحة ، وركوب الخيل ، والجري ، والمشي ، ففي الوقت الذي يرّفه عن نفسه ، يكون قد رفّه عنها في شيء

هادف ونافع .

ومثـال آخر أن يـرتاح الإنسـان أو يرّفـه عن نفسـه في ممارسة هواية نافعة ، كالتعارف بأن يكتب الرسائل لمن يريد التعرف عليهم ، أو إلى اصدقائه .

وبكلمـة : أن على المرء أن يضـع في نـظره هـدفيـة الراحة والترفيه ، وبذلك سيجد نفسه يختار الراحـة والترفيـه الهادفين النافعين .

- ٥ -

فتش عن الراحة النفسية .

إن الراحة الحقيقية هي راحة النفس ، وإن كانت راحة الجسد هي المطلوبة أيضاً .

إن بعض الناس ربما يشعرون بالراحة في العمل ، ولا يشعـرون بها في وقتهـا وفي وقت الترفيـه . صحيح أن على الإنسان أن يريح جسمه بأن ينام ساعات كافيه ، ولكن الراحة النفسية هي أن تعيش مرتاح الداخل والباطن مطمئناً ، بعيـداً عن العقد النفسية ، ومزكياً لنفسـك ومطهـراً لها ، وهـذا ألذّ الراحة ، وقمتها .

* * *

ورب إنســان يمتلك الأمــوال الــطائلة ، والقـصــور الواسعة ، ويقضي الأوقات الطويلة في الراحة ، لكنه لا يشعر

بـالراحـة النفسية! ورب إنسـان فقير منهمـك في الأعمـال ، يعيش مرتاح النفس والضمير والبال .

يقول الإمام الصادق (ع) :

«لا راحة للمؤمن على الحقيقة إلا عند لقاء الله ، ومـا سـوى ذلك ففي أربعـة أشيـاء : صمت تعـرف حـال قلبـك ونفسـك فيما بينـك وبين ربك ، وخلوة تنجـو بها من آفـات الـزمـان ظـاهـراً أو بـاطنـاً ، وجـوع تميت بـه الشهـوات والوسواس ، وسهر تنوّر به قلبك وتنقي بـه طبعك وتـزكّي به روحك» ، (بحار الأنوار/ج٧٢ ، ص٦٩) .

ويقول الإمام علي (ع) : «من وثق بـأن ما قُـدّر له لن يفوته إستراح قلبه» (غرر الحكم) .

ويقول (ع) أيضاً : «حسن السـراح أحد الـراحتين» ، (غرر الحكم) .

ويقـول (ع) : «من أحب الـراحـة فليؤثـر الـزهـد في الدنيا» ، (غرر الحكم) .

وفي حديث عن الإمام علي بن الحسين (ع) ، أنه أقبل على رجـل من جلسـائـه فقـال لـه : «إتق الله وأجمـل في الطلب ، ولا تطلب ما لم يُخلق» .

فقال الرجل : وكيف يُطلب ما لم يخلق ؟

فقال (ع) : «من طلب الغنى والسعة في الدنيا ، إنما يطلب ذلك للراحة ، والراحة لم تُخلق في الدنيا ولا لأهل الدنيا ، إنما خُلقت الراحة في الجنة ولأهل الجنة» (بحار الأنوار/ج٣ ، ص٩٣) .

وقيل للإمام الصادق (ع) : أين طريق الراحة ؟

فقال (ع) : «في خلاف الهوى» . قيل فمتى يجد الراحة ؟

فقال (ع) : «عند أول يوم يصير في الجنة» (بحار الأنوار/ج٧٨ ، ص٢٥٤) .

وعنه (ع) أنه قال لأصحابه : «لا تتمنوا المستحيل!» .

فقالوا : ومن يتمنى المستحيل ؟!

فقال (ع) : ألستم تمنّون الراحة في الدنيا ؟

قالوا بلى ، فقال (ع) : «الراحة للمؤمن في الدنيا مستحيلة» (بحار الأنوار/ج٨١ ، ص١٩٥) .

وهكذا فإن الراحة الحقيقية تكمن في راحة النفس ، وراحة النفس لا تكون إلا بالإنابة إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ والسير على صراطه المستقيم .

الفهـــرس

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس